رسالة في تفصيل النشأتين

٢٢٧٤

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان
ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا
حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف
الحرمين الشريفين غفر لهما

٢٢٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل بالنبوة عبده وعلمنا على لسانه حمده
ورغبنا فيما عنده ونسأله أن يصلي على نبيه محمد وعلى آله وأن تهدينا
بأوضح دليل إلى أنهج سبيل وبأقوى حجة إلى أقوم محجة

قال الشيخ أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب رحمه الله
هذه رسالة في تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين أما النشأتان
فأحدهما المذكورة في قوله تعالى ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا
تذكرون والثانية المذكورة في قوله تعالى ثم الله ينشئ النشأة الآخرة
وأما السعادتان فأحدهما المذكورة في قوله تعالى اذكروا نعمتي
التي أنعمت عليكم والثانية المذكورة في قوله تعالى وأما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها • وقد عملت ذلك للاستاد لما رأيته
معتنيا باكتساب الانسانية الموصلة الى السعادتين اعانه الله على
استفادتها حتى يصير حاويا لنوعها وجامعا على معناها ومراعيا لخصايصها
فقد كاد وقد كان قولنا الانسان لفظ مطلق على معنى غير موجود واسم
لحيوان غير معهود كعنزابل وعنقاء مغرب ونحو ذلك من الاسماء التي لا
معاني لها كما قال الله تعالى في صفة الاصنام المسماة آلهة ان هي

إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم وقال جل جلاله ما تعبدون من دونه
إلا أسماء سميتموها فجعلها اسما بحتا بلا مسمى ولم أعن بالانسان كل
حيوان منتصب القامة عريض الظفر أملس البشرة ضاحك الوجه ممن
ينطقون ولكن عن الهوى ويتعلمون ولكن ما يضرهم ولا ينفعهم ويعلمون
ولكن ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ويكتبون
الكتاب بأيديهم ولكن يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا
ويجادلون ولكن بالباطل ليدحضوا به الحق ويؤمنون ولكن بالجبت
والطاغوت ويعبدون ولكن ما يضرهم ولا ينفعهم ويبنون ولكن ما لا
يرضى من القول ويأتون الصلوة ولكن كسالى ولا يذكرون الله إلا قليلا
ويصلون ولكنهم من المصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون ويذكرون
ولكن إذا ذكروا لا يذكرون ويدعون مع الله إلها آخر وينفقون ولكن
لا ينفقون إلا وهم كارهون ويحكمون ولكن حكم الجاهلية يبغون
ويحلفون ولكن يحلفون بالله وهم كاذبون فهؤلاء وإن كانوا بالصور المحسوسة
ناسا فهم بالصور المعقولة لا ناس ولا نسناس كما قال أمير المؤمنين
علي رضي الله عنه بأشباه الرجال ولا رجال بل هم من الانس المذكور في قوله
تعالى شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا

وما ارى المحترى اذا اعتبر جل الناس بالخلق لا بالخلق مبعدا فى
قوله لم يبق من جل هذا الناس باقية ينالها الوهم الا هذه الصور ولا
من يقول فجلهم اذا فكرت فيهم حمير او كلاب او ذياب ولا تحسبن هذه
الابيات اقوالا شعرية ولا اطلاقات مجازية فان الله تعالى يقول ام
تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل
سبيلا وقد ابنت فى هذه الرسالة عن جملة الموجودات ومكان انسان
منها ومبدائها ومنشائها ومنتهاها وما جعل له من السعادة فى الدار
باكتساب الانسانية وكيفية التطرق اليها وابتدات بالتنبيه على
وجوب معرفة الانسان نفسه فان من علم ان شيئا ما هو مما يجب ان يعلم
فانه وان لم يعلمه فقد حصل له بذلك علم من العلم ان تعلم انك لا تعلم وعلم
الانسان بجهله احد العلمين وقال ابن عباس رضى الله عنه من لم يجد
مس نقص الجهل فى عقله وذل المعصية فى قلبه ولم يستبن الخلة
فى لسانه عند كلال حده عن حد خصمه فليس ممن ينزع عن دينه ولا
يرغب عن حال معجزة ولا يكترث بفصل ما بين حجة وشبهة فبقدر
معرفة منفعة الشيء يحرص الانسان على طلبه ويصبر على تحمل المشقة
فى تحصيله ولذلك قال تعالى فى صفة من جهل نفع مطلوبه

وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فاعرف ايها الفاضل فضيلة
الانسانية وما اعد من الفلاح ان تزكى كما قال الله تعالى قد افلح
من تزكى فانه هو المكارم لا تعبان من لبن شيبا بماء فعاد بعد ابوالا
ولا تكابدنك بعد المشقة فعل من يروقك طاقه ورواقه فان جاوزت
كسوته اليه وراء عباد ان قرية بل لا تراه الا عبدا لحجر او مدر او بهيمة
او طعينة كمن ذمه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعس عبد الدرهم
تعس عبد الدينار تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش فانك فى عنفوان
شبابك ولدونة اغصانك واعلم انه ليس يحسن بذى همة قد احسن
الله خلقه وخلقه وقيض له من ربابه فاحسن تربيته وازاح فى معاونته
بعد بلوغه علته ان يرضى بان يكون حيوانا وقد امكنه ان يصير انسانا
وبان يكون انسانا وقد امكنه ان يكون ملكا وبان يكون ملكا وقد
امكنه ان يصير ملكا فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فيقوم الملائكة
فى خدمته كما قال الله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وفقنا الله لذلك ولا جعلنا
من الكسالى الموصوفين بقوله تعالى لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا
لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وجعلنا الله واياك من المؤمنين

الموصوفين بقوله جل جلاله هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين
وبقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه حتى لا تغتر
بما هو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا

تراجم الابواب

١ فضل معرفة الانسان نفسه
٢ ذكر اجناس الموجودات وموضع الانسان منها ٣ ذكر العناصر
التي منها اوجد الانسان ٤ ذكر قوى الاشياء التي جمعت في الانسان
٥ تكون الانسان شيئا فشيئا حتى يصير انسانا كاملا ٦ ظهور الانسان
في شعار الموجودات وتخصصه بقوة شتى منها ٧ ماهية الانسان
٨ كون الانسان مستصلحا للدارين ٩ تمثيل ذات الانسان وتصويره
١٠ كون الانسان هو المقصود من العالم وايجاد ما عداه لاجله ١١ العرض
الذي لاجله اوجد الانسان ومنازلهم ١٢ تفاوت الناس واختلافهم
١٣ سبب تفاوت الناس واختلافهم ١٤ بيان شجرة النبوة وفضائلها
على جوهر ساير البرية ١٥ هداية الاشياء الى مصالحها ١٦ سعادة الانسان
ونزوعه اليها ١٧ حال الانسان في دنياه وما يحتاج ان يتزود منها ١٨
تظاهر العقل والشرع وافتقار احدهما الى الآخر ١٩ فضيلة الشرع
البيان في ان من لم يتخصص بالشرع وعبادة الرب فليس بانسان ٢٠

ما يتعلق به الشرع من الافعال تحقيق العبادة وانواع العبادة من العلم
والعمل ٢٢ كون الغرض من العبادة ٢٣ تطهير النفس واجتلاب صحتها
٢٣ بيان الامراض والانجاس التي لا يمكن ازالتها الا بالشرع ٢٤ القوى
التي تجب ازالة امراضها وانجاسها والمعاني التي يحصل لذلك ٢٥ كون
الانسان مفطورا على اصلاح النفس ٢٦ سبب رذيلة الانسان وتاخيره
عن الفضيلة ٢٧ احوال الناس ومنازلهم في تعاطي الافعال المحمودة والمذ مومة
وطرقها ٢٨ ارتداد الانسان من طريق الخير والشر قدر ما يقع في الوسع
من اكتساب السعادة ٢٩ اثبات المعاد وفضيلة الموت وما يحصل له
بعده ٣٠ فضل الانسان اذا اشرف على الملك

فصل في معرفة الانسان نفسه

قال الحكماء مرة اول ما يلزم الانسان
معرفة نفسه وقالوا مرة اول ما يلزمه معرفة الله تعالى وليس بين هذين
القولين منافاة فانهم عنوا بالاول حيث قالوا معرفة النفس الاول من حيث
الترتيب الصناعي وعنوا حيث قالوا معرفة الله الاول من حيث الشرف
والفضل فان معرفة الله هي افضل المعارف وفي معرفة النفس اطلاع على
امور كثيرة احدها انه بوساطتها يتوصل الى معرفة غيرها ومن
جهلها جهل كل ما عداها والثاني ان نفس الانسان مجمع الموجودات

كما نبين بعد فمن عرفها فقد عرف الموجودات ولذلك قال تعالى اولم يتفكروا
في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل
مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون تنبيها انهم لو دبروا
انفسهم وعرفوها عرفوا بمعرفتها حقايق الموجودات فانيها وباقيها
وعرفوا بها حقيقة السموات والارض وما انكروا البعث الذي هو لقاء ربهم
وقال سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم وقال وفي الارض ايات
للموقنين الاية والثالث ان من عرف نفسه عرف العالم ومن عرفها
صار في حكم المشاهد لله وهو يخلق السموات والارض ولم يكن
كالكفرة الجهلة الذي انكلتهم هذه المنزلة فقال فيهم ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا
والرابع انه يعرف بمعرفة روحه العالم الروحاني وبقاءه وبمعرفة
جسده العالم الجسماني وفناءه فيعرف خسة الفانيات وشرف الباقيات
الصالحات الخامس ان من عرف نفسه عرف اعداءه الكامنة
فيها المشار اليها بقوله عليه السلام اعدى عدوك نفيسة بين جنبيك
فيستعيذ منها كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم الهمني رشدي واعذني
من شر نفسي وقال صلوات الله عليه لا تكلني الى نفسي طرفة عين فاهلك

ومن عرف

ومن عرف اعاديه الكامنة ومكامنها وكيفية انبعاثها احسن ان يحترز
منها وان يجاهدها فيستحق ما وعد الله تعالى به المجاهدين في سبيله ومن
لم يعرفها فجدير ان يتراءى له عدوه الذي هو الهوى بصورة العقل فيسول
له الباطل بصورة الحق وقد قال عليه السلام الهوى شيطان بل قال هو اله
يعبد من دون الله فقد روي انه قال عليه السلام ما عبد في الارض اله ابغض
الى الله تعالى من الهوى ثم تلا افرايت من اتخذ الهه هويه والسادس
ان من عرف نفسه عرف ان يسوسها ومن احسن ان يسوس نفسه احسن
ان يسوس العالم فيصير من خلفاء الله المذكورة في قوله تعالى ويستخلفكم
في الارض ومن الملوك المذكورة في قوله وجعلكم ملوكا والسابع ان
من عرفها لم يجد عيبا في احد الا راه موجودا في ذاته اما ظاهرا منبعثا
واما كامنا فيه ككمون النار في الحجر ولا يكون همازا ولا لمازا ولا عيابا
فان كل عيب تراءى له من غيره وجده في نفسه فمن راى عيب نفسه فجدير
ان يكون ممن دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله امرا شغله
عيبه عن عيوب غيره ومعرفة عيب النفس صعب جدا من حيث ان كل
انسان يحب نفسه وحبه له يعميه عن معايبها كما قال عليه السلام
حبك الشيء يعمي ويصم والاعمى والاصم عن عيب الشيء قد يعجب به ولا

ضرر اعظم من العجب

وسموا اعجاب المرء بنفسه فقد قال بعض الحكماء الكاذب في نهاية
البعد عن الحق والمراي اسوء حالا من الكاذب لان الكاذب يكذب بقوله
فقط والمراي يكذب بقوله وفعله وقال اسوء حالا منهما المعجب بنفسه
لان الكاذب والمراي قد ينتفع بهما والمعجب بنفسه لا نفع فيه بوجه
ولانهما قد يبجع وعظك فيهما لعلمهما بنفسهما والمعجب بنفسه لجهله
بظنك في وعظك اياه ملغيا والثامن ان من عرف نفسه فقد عرف
الله تعالى فقد روي انه ما انزل الله كتابا الا وفيه اعرف نفسك بانسان
تعرف ربك هذا معنى قوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق الاية وفي هذا
الخبر ثلث تاويلات احدها ان بمعرفة النفس يتوصل الى معرفة الله تعالى
كقولهم اعرف العربية تعرف النحو اي بمعرفة العربية يتوصل الى معرفة
النحو وان كان بينهما وسايط والثاني انه اذا حصل معرفة النفس
حصل حصولها معرفة الله تعالى بلا فاصل كقولك بطلوع الشمس يحصل
الضوء فيكون الضوء مقترنا بطلوعه غير متاخر عنه بزمان والثالث
ان معرفة الله تعالى ليس تحصل الا ان تعرف النفس لانك اذا عرفتها على
الحقيقة فقد عرفت العالم واذا عرفت العالم فقد عرفت انه محدث وان
لا بد له من محدث لا يشبه المحدث بوجه وذلك هو غاية معرفة الله تعالى

قالوا وعلى هذا معنى قول امير المومنين رضي الله عنه ان العقل لاقامة رسم
العبودية لا لادراك الربوبية ثم تنفس الصعداء وانشد

كيفية المرء ليس تعرفها • فكيف كيفية الجبار في القدم
هو الذي انشا الاشياء مبتدعا • فكيف يدركه محدث النسم
العجز عن درك الادراك ادراك • والبحث عن سر ذات السر اشراك

وقال ايضا

وفوق ساير همات الورى همم • عن ذي التهى عجزت قن واملاك
يهدي اليه الذي منه اليه هدى • مستدركا ولي الله مدراك

وقال امير المومنين ابي بكر رضي الله عنه يا من غاية معرفته
القصور عن معرفته وقول الله تعالى نسوا الله فانساهم انفسهم
تنبيها انهم لو عرفوا انفسهم لعرفوا الله فلما جهلوه دل جهلهم اياه على جهلهم اياها

ذكر اجناس الموجودات وموضع الانسان منها

اعلم ان الباري تعالى هو واجب الوجود الذي لا سبب لوجوده بل هو
سبب كل موجود فمنه وبه عز وجل وجود الاشياء والموجودات ضربان
المعقولات العلوية والمحسوسات السفلية وايجاده للمعقولات
العلوية قبل ايجاده للمحسوسات السفلية كما روي ان اول ما خلق الله
تعالى القلم ثم اللوح فقال اجر بما هو كاين الى يوم القيمة وروي انه اول

ما خلق الله العقل فقال اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي
وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وعليك الثواب
والعقاب وليس المراد ههنا العقول البشرية بل الاشارة به الى جوهر
شريف عنه تنبعث العقول البشرية وقال قوم العقل ههنا
عبارة عن العلم المذكور في الخبر الآخر والله اعلم . ثم اوجد السماء
والروحانيات الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون والجاده
لهذه الاشياء على سبيل الابداع والابداع هو ايجاد الشيء لا عن شيء موجود
قبل ثم خلق من الاركان الاربعة الجمادات والنامیات والحيوانات
وختم بالصورة الانسانية كما دل عليه السلام بقوله عليه السلام خلق الله
تعالى يوم الاحد كذا ويوم الاثنين كذا الى ان قال وخلق الانسان يوم
الجمعة آخر النهار والخلق في اكثر الاحوال يقال في ايجاد الشيء من شيء
قبل كخلق الانسان من التراب فيقتضي تركيبا ولذلك قال تعالى
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون والى الاشياء المركبة اشار
بقوله اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم واعلم ان كل
شيء من المبدعات فتام لا نقص فيه بوجه ولو كان نقص فيه لدل ذلك
على نقصان مبدعه وصانعه واما المخلوق الذي هو مركب من شيء

فقد يحتمل ان يكون فيه نقص ويكون نقصه عارضا من جهة مركب ما ركب
منه لا من جهة مركبه فاعله فلهذا المبدعات من المبدأ الاشياء صارت الاشياء
العلوية معراة عن اعتراض الفساد فيها حالا فحالا بل لتبقى على حالتها
الى ان شاء الله تعالى ان يرفع العالم . والانسان انسانان احدهما آدم
الذي هو ابو البشر ويجري هو من سائر الناس مجرى البذر الذي منه انشأ
غيره والباري تعالى قد تولى بنفسه ايجاده وتربيته وتعليمه كما نبه عليه
بقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقوله وعلم آدم الاسماء
كلها والثاني بنوه وموجدهم ايضا الباري تعالى ولكن جعل انشاء
وتربيتهم وتعليمهم بوسائط الجسمانية والروحانية والجسماني
كالابوين والروحاني الملائكة المدبرات والمقسمات الذين يتولون
انشاءه وتربيته كما روي في الخبر الولد يكون اربعين يوما نطفة ثم يصير
علقة ثم يصير مضغة فيبعث الله ملكا فينفخ فيه الروح الى غير ذلك
من الاخبار ولكون الابوين سببا في وجود الولد عظم الله تعالى حقهما
والزم بعد شكر شكرهما وقال اشكر لي ولوالديك ويسمى الولد ابنا
وهو مشتق من بنيت البنية تنبيها انه جار للاب مجرى البناء للباني

ذكر العناصر التي منها اوجد الانسان

وقد ذكر الله تعالى العناصر التي خلق منها آدم عليه السلام ونبه انه
جعل انسانا في سبع درجات واشار الى ذلك في مواضع مختلفة حسب
ما اقتضته الحكمة فقال في موضع خلقه من تراب اشارة الى المبدأ
الاول وفي آخر من طين اشارة الى الجمع بين التراب والماء وفي آخر من حمإ
مسنون اشارة الى الطين المتغير بالهواء ادنى تغير او في آخر من طين
لازب اشارة الى الطين المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة
وفي آخر من صلصال من حمإ مسنون اشارة الى يبسه وسماع صلصلته
وفي آخر من صلصال كالفخار وهو الذي قد اصلح بالنار فصار كالخزف
وبهذه القوة النارية حصل في الانسان اثر من الشيطنة وعلى هذا المعنى
دل بقوله خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من
نار فنبه ان الانسان من قوة الشيطانية بقدر ما في الفخار من اثر النار وان
الشيطان ذاته من المارج الذي لا استقرار له ثم نبه الله على تكميل الانسان
ونفخ الروح فيه فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فهذه سبع درجات نبه عليها كما ترى ثم دل على تكميل نفسه
بالعلم والاداب بقوله وعلم آدم الاسماء كلها ثم ذكر خلق بني آدم من عناصرهم
التي اوجدها حالة بعد حالة فنبه انه جعلهم انسانا في سبع درجات حسب

ما جعل آدم فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم
جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة
فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر
فتبارك الله احسن الخالقين وقوله انشأناه خلقا آخر اشار الى
ما جعل له من قوة العقل والفكر والنطق فان قيل لم قال فكسونا
العظام لحما ولم يقل وخلقنا منه لحما كما قال في الاول قيل اشارة منه تعالى
الى لطيفة من صنعه وهو ان النطفة انتهت الى صورة العظم ثم انشأ الله
اللحم انشاء آخر لا من النطفة واجراها مجرى الكسوة التي قد يخلقها الانسان
ويجددها ولذلك اذا قطع من الحيوان اللحم يعود ولم يكن كالعظم الذي لا يعود
بعد قطعه فان قيل كيف حكم على جميع الناس انه خلقه من سلالة من
طين والمخلوق منها هو آدم دون اولاده قيل ان ذلك على وجهين احدهما
انه لما خلق آدم من سلالة من طين فاولاده الذين منه هم ايضا منها والثاني
ان الانسان يتكون من النطفة ويتربى بدم الطمث وهما يتكونان من الغذاء
والغذاء يتكون من الحيوان والحيوان من النبات والنبات من سلالة من طين
فاذا الانسان من سلالة من طين وعلى هذا نبه بقوله تعالى انا صببنا الماء
صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا الآية وقوله ولقد خلقنا

الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وقوله
خلقكم من تراب ثم من نطفة فجعله تعالى من تراب على هذا الوجه قال
ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون وفي آخر
خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وعنى
بالإنسان ههنا آدم ولذلك قال ثم جعل نسله من سلالة فاقتصر
ههنا على النطفة دون المبدأ الأول الذي هو التراب وإنما ذكر هذه
المبادي متفرقة لحكمة اقتضت تخصيص ذكر كل واحد من ذلك في
موضعه الذي ذكر فيه وليس تخصيص ذكر كل واحد من ذلك في موضعه
مما يليق بهذا الكتاب

ذكر قوى الأشياء التي جمعت في الإنسان

الإنسان قد جمع فيه قوى العالم وأوجد بعد وجود الأشياء التي جمع فيه
وعلى هذا نبه قوله تعالى الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان
من طين وقول النبي صلى الله عليه وسلم الذي تقدم ذكره وقد جمع الله تعالى
في الإنسان قوى بسايط العالم ومركباته وروحانياته وجسمانياته
ومبدعاته ومكوناته فالإنسان من حيث أنه بوساطة العالم حصل وعن
أركانه وقواه أوجدها العالم ومن حيث أنه صغر شكله وجمع فيه قواه
كالمختصر من العالم فإن المختصر من الكتاب الذي قل لفظه واستوفى

٩

معناه والإنسان هكذا هو إذا اعتبر بالعالم ومن حيث أنه جعل من
صفوة العالم ولبابه وخلاصته وثمرته هو كالزبد من المخيض والدهن
من السمسم فما من شيء إلا والإنسان يشبهه من وجه فإنه كالأركان
من حيث ما فيه الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وكالمعادن
من حيث ما هو جسم وكالنبات يتغذى ويترعرع وكالبهيمة من حيث
ما يحس ويتخيل ويتوهم ويتلذذ ويتألم وكالسبع من حيث ما يجرد
ويحرب وكالشيطان من حيث ما يغوي ويضل وكالملايكة من حيث
ما يعبد الله ويعرفه ويخلقه وكاللوح المحفوظ موضع العلم قد جعله
الله مجمع الحكم التي كتبها فيه على سبيل الاختصار وقد ذكر بعض
الحكماء في بدن الإنسان أربعة آلاف حكمة وفي نفسه قريبا من
ذلك وكالقلم من حيث ما يثبت بكلامه صور الأشياء في قلوب
الناس كما أن القلم يثبت الحكم في اللوح المحفوظ ولكون الإنسان من
من قوى مختلفة قال إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج أي مختلطة
من قوى أشياء مختلفة ولكون العالم والإنسان متشابهين إذا اعتبرا
قيل الإنسان هو عالم صغير والعالم إنسان كبير وكذا قال تعالى
ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة فأشار بالنفس الواحدة إلى ذات

وكما كان كل مركب من اشياء مختلفة يحصل باجتماعهن معنى ليس
بموجود فيهن على انفرادهن كالمركبات من الادوية والاطعمة كذى في
الانسان حصل معنى ليس في سى موجودات العالم وذلك المعنى هو ما
تختص به من خصايصه التى بها تميز عن غيره من هيئاته كانتصاب
القامة وعرض الظفر وانفعالات كالضحك والحياء وافعال كتصور
المعقولات وتعلم الصناعات واكتساب الاخلاق

تكون الانسان شيئا فشيئا حتى يصير انسانا كاملا

الانسان تكون اولا جمادا ميتا قال الله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم
وتلك حيث كان ترابا وطينا وصلصالا ونحوها ثم يصير نباتا ناميا
كما قال تعالى وانبتكم من الارض نباتا فذلك حيث ما كان نطفة وعلقة
ومضغة ونحوها ثم يصير حيوانا وذلك حين ما يتبع بطبعه بعض
ما ينفعه ويحترز عن بعض ما يضره ثم يصير انسانا فيختص بالافعال
الانسانية وقد نبه تعالى على ذلك في مواضع نحو قوله يا ايها الناس ان
كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة
ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم وقوله اكفرت بالذى
خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا فاول ما يظهر فيه قوة

النزاع الذى جودة قوة النبات الموجود في النبات وساير الحيوان ثم قوة
تناول الموافق ودفع المخالف ثم الحس ثم التخيل ثم التصور ثم الفكر ثم
العقل فهو لم يصر انسانا الا بالفكرة والعقل الذى به يميز بين الخير
والشر والجهل والقبح والى العقل اشار بقوله تعالى وصوركم فاحسن
صوركم فالانسان بعقله صار معدن العلم ومركز الحكمة ووجود العقل
فيه في ابتداء الامر بالقوة كوجود النار في الحجر المحتاج في ان يرى الى
اقتداح وكوجود النخل في النواة المحتاجة في ان يثمر الى غرس وسقى
وكوجود الماء تحت الارض المحتاج في الاستسقاء منه الى حفر ونفس
الانسان واقعة بين قوتين قوة الشهوة وقوة العقل فبقوة الشهوة يحرص
على تناول اللذات البدنية والبهيمية كالغذاء والسفاد والتغالب
وساير اللذات العاجلة وبقوة العقل يحرص على تناول العلوم والافعال
الجميلة والامور المحمودة العاقبة والى هاتين القوتين اشار تعالى بقوله
انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وقوله وهديناه النجدين
ولما كان من جبلة الانسان ان يتحرى ما فيه اللذة وكانت اللذات
ضربين احدهما محسوس كلذة المذوقات والملموسات والمشمومات
والمسموعات والمبصرات وهن من توابع الشهوة الحيوانية والثاني

معقول كلذة العلم وتعاطي الخير وفعل الجميل واللذات المحسوسة
اغلب علينا لكونه اقدم وجودا لانه يوجد في الانسان قبل ان يولد وهي
ضرورية له في الوقت ولذلك قال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة
ولذلك يكره اكثر الناس ما يامر به العقل ويميل الى ما يامر به الهوى
حتى قيل العقل صديق مقطوع والهوى عدو متبوع ولذلك قال عليه السلم
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ولذلك يحتاج الانسان
ان يقاد في بدو امره الى مصالحه بضرب من القهر حتى قال صلى الله عليه وسلم
يا عجبا لقوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فحق الانسان ان يجاهد هواه
الى ان يقتحم العقبة فيتخلص حينئذ من اذاه وللنفس نظران نظر الى
فوق نحو العقل ومنه تستمد المعارف فيميز بين المحاسن والمقابح فيعرف
كيف يتحرى المحاسن ويتجنب المقابح ونظر الى تحت نحو الهوى وبه ينسى
الحقايق ويالف الحسيات بل القاذورات والنفس متى كانت شريفة
ادام النظر الى ما فوقها ولا ينظر الى ما دونها الا عند الضرورة ولا يتناول
اللذات البدنية الا بحسب ما يرسمه العقل المستمد من الشرع فاذا كانت
دنية اكثرت الميل الى الشهوات البدنية فيحدث ذلك لها اذعانا وانقيادا
للشهوات فيستعبدها الهوى كما قال افرايت من اتخذ الهه هواه ويجعله

عبدا للاعراض الدنيوية كما قال عليه السلام تعس الدنيا الدرهم الخبر
ومن هذه العبودية استعاذ ابرهيم عليه السلم حيث قال واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام

ظهور الانسان في شعار الموجودات وتخصيصه بقوة شي منها

الانسان من حيث ما اجتمع فيه قوى الموجودات صار وعاء معاني العالم
وطينة صوره ومعدن اثاره ومجمع حقايقه وكانه مركب من جمادات
ونبات وبهايم وسباع وشياطين وملايكة ولذلك قد يظهر في شعار كل
واحد من ذلك فيجري تارة مجرى الجمادات في الكسل وقلة التحرك والانبعاث
وعلى هذا نبه بقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد
قسوة وقد يظهر في شعار انواع النبات الحميدة والذميمة فيصير اما
كالاترج الذي يطيب حمله ونوره وعوده وورقه او كالنخل والكرم فيما
يولي من النفع او كالكشوث في عدم الخير او كالحنظل في خبث المذاق وعلى
هذا نبه بقوله تعالى ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة الاية ومثل كلمة
خبيثة كشجرة خبيثة الاية ويظهر تارة في شعار الحيوانات المحمودة
والمذمومة فيصير اما كالنحل في كثرة منافعه وقلة مضاره وفي حسن
سياسته كما قال تعالى واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال
بيوتا ومن الشجر الاية وكالطير المسمى بابي الوفا في الوفاء او كالخنزير

في الشره او كالذيب في العيث او كالكلب في الحرص او كالنمل في الجمع
او كالفارة في السرقة او كالثعلب في المراوغة او كالقرد في المحاكاة او
كالحمار في البلادة او كالثور في الفضاضة والغمار وعلى هذا النحو من
المشابهات دل بقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه
الا امم امثالكم ويظهر تارة في شعار الشياطين فيغوي ويضل ويسول
الباطل في صور الحق كما دل عليه تعالى بقوله شياطين الانس والجن
يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وانما يكون انسانا اذا وضع
كل واحدة من هذه الاشعة موضعها حسب ما تقتضيه العقل
المستضيء بالشرع **ماهية الانسان** ماهية كل شيء
تحصل بصورته التي يتميز بها عن اغياره كصورة السكين والسيف
والمنجل ونحوها لما كان الانسان جزوين بدن محسوس وروح معقول كما
نبه الله تعالى عليه بقوله اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي كان له حسب كل واحد من الجزوين صورة فصورته المحسوسة
البدنية انتصاب القامة وعرض الظفر وتعري البشرة عن الوبر
وصورته المعقولة الروحانية العقل والفكر والروية والنطق قالوا
الانسان هو الحيوان الناطق ولم يعنوا بالنطق اللفظ المعبر به فقط

بل عنوا به المعاني المختصة بالانسان فعبر عن كل ذلك بالنطق فقد يعبر
عن جملة الشيء باخص ما فيه او باشرفه او باوله كقولك سورة الرحمن وسورة
يوسف وسورة الايلاف ونحو ذلك فالانسان يقال على ضربين عام
وخاص والعام ان يقال لكل منتصب القامة مختص بقوة الفكر واستفادة
العلم والخاص ان يقال لمن عرف الحق فاعتقده والخير فعمله بحسب وسعه
وهذا معنى يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون فيه تفاوتا بعيدا وبحسب
تحصيله يستحق الانسانية وهي تعاطي الفعل المختص بالانسان
فيقال فلان اكثر انسانية وكما يقال الانسان على وجهين يقال والحيوان
الناطق على وجهين عاما وتراد به من قوة نوعه استفادة الحق والخير
كقولك الانسان هو الكاتب دون الفرس والحمار اي هو الذي في قوته استفا
الكتابة ويقال خاصا ويراد به من حصل الحق فاعتقده والخير فعمله
كما يقال زيد هو الكاتب دون عمرو اي هو مختص بعلم الكتابة وكذلك يقال
عبد الله على وجهين عاما ويراد به الحيوان المعرض لارتسام امر الله
ارتسم ولم يرتسم وهو المشار اليه بقوله تعالى ان كل من في السموات والارض
الا آتي الرحمن عبدا وخاصا هو المرتسم لامر الله تعالى كما قال تعالى ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان وكذا يقال له حي وسميع وبصير ومتكلم

وعاقل كل ذلك على وجهين يقال عاما وهو لمن له الحيوة الحيوانية التي
بها الحس والتخيل والنزوع والشهوة ولمن يسمع الاصوات ولمن يدرك
الالوان ولمن يفهم الكافة ما يريد ولمن له القوة التي يتبعها التكليف
والثاني يقال خاصا وهو لمن له الحيوة التي هي العلم وهو المقصود
بقوله لينذر من كان حيا وله السمع الذي به يسمع حقايق الموجودات
المعقولات والبصيرة التي بها يدرك الاعتبارات واللسان الذي به يورد
التحقيقات وهي التي نفاها عن الجهلة الكفرة وفي قوله صم بكم عمي فهم
لا يعقلون

كون الانسان مستصلحا للدارين

الانسان من بين الموجودات مخلوق خلقه يصلح للدارين وذلك ان الله تعالى
قد اوجد ثلثة انواع نوعا لدار الدنيا وهو الحيوانات ونوعا لدار الآخرة
وهو الملأ الاعلى ونوعا للدارين وهو الانسان فالانسان واسطة بين
جوهرين وضيع وهو الحيوانات ورفيع وهو الملايكة تجمع فيه قوى العالمين
وجعله كالحيوانات في الشهوة البدنية وفي الغذاء والتناسل والمهارة
والمصارعة وغير ذلك من اوصاف الحيوانات وكالملايكة في العقل
والعلم وعبادة الرب والصدق والوفاء ونحو ذلك من الاخلاق الشريفة
ووجه الحكمة في ذلك هو انه تعالى لما رشحه لعبادته وخلافته وعمارة

ارضه

ارضه وهيأه مع ذلك لمجاورته في جنته اقتضت الحكمة ان جمع له
القوتان فانه لو خلق كالبهيمة معرى عن العقل لما صلح لخلافة الله تعالى
وعبادته كما لم يصلح لذلك البهايم ولا لمجاورته ودخول جنته ولو خلق
كالملايكة معرى عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة ارضه كما لم
يستصلح لذلك الملايكة حيث قال في جوابهم اني اعلم ما لا تعلمون
فاقتضت الحكمة الالهية ان يجمع له القوتان وفي اعتبار هذه الجملة
تنبيه ان الانسان دنيوي واخروي وانه لم يخلق عبثا كما نبه
عليه بقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون

تمثيل ذات الانسان وتصويره

قد ذكر الحكماء لذات الانسان وقواها امثالا صوروها بها فتمثيل
كل ما لا يدرك الا بالعقل المحض يقرب من الفهم فقالوا ذات الانسان
لما كان عالما صغيرا كما تقدم ذكره جرى مجرى بلد احكم بناؤه وشيد
بنيانه وجص سوره وخطت شوارعه وقسمت محاله وعمرت بالسكان
دوره وسلكت سبله واجريت انهاره وفتحت اسواقه واستعملت صنا عه
وفيه ملك مناسب وللملك وزير وصاحب بريد واصحاب اخبار وخازن
وترجمان وكاتب وفي البلد اخيار واشرار فصناعها هي القوى السبعة

التي يقال لها الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والنامية والغاذية
والمصورة والملك العقل ومنبعه من القلب والوزير القوة المفكرة
ومسكنه وسط الدماغ وصاحب البريد القوة المتخيلة ومسكنها
واصحاب الاخبار الحواس الخمسة والخازن القوة الحافظة ومسكنها
خلف الدماغ والترجمان القوة الناطقة وآلتها اللسان والكاتب
القوة الكاتبة وآلتها اليد وسكانها الاخيار والاشرار هي القوى التي
منها الاخلاق الجميلة والاخلاق القبيحة فكما ان الوالي تولى اذا تزكى
وساس الناس بسياسة الله تعالى صار ظل الله تعالى في الارض كما روى
السلطان ظل الله في الارض ووجب على الكافة طاعته كما قال اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم كذلك متى حصل العقل سائسا
وجب على سائر القوى ان يطيعه وكما ان الله تعالى جعل الناس متفاوتين
كما نبه عليه بقوله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا كذلك جعل قوى النفس متفاوتة وجعل من حق كل واحدة ان
تكون داخلة في سلطان ما فوقها ومتآمرة على ما دونها فحق القوة الشهوية
ان تكون مؤتمرة للقوة الغضبية وحق القوة الغضبية ان تكون مؤتمرة
للقوة العاقلة وحق القوة العاقلة ان تكون مستضيئة بنور الشرع ومؤتمرة

من جعل

بمراسمه

بمراسمه حتى يصير هذه القوى متظاهرة غير متعادية فيكون كما قال تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وكما لا ينفك
اشرار العالم من ان يطلبوا في العالم الفساد ويعادوا الاخيار كما قال
وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وقال وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن كذلك في نفس الانسان
قوى ردية من الهوى والشهوة والحسد تطلب الفساد وتعادي العقل
والفكر وكما انه يجب للوالي ان يتبع الحق ولا يصغي الى الاشرار ولا يعتمدهم
كما قال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقال
وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض
كذلك يجب للعقل والفكر ان لا يعتمد القوى الذميمة وكما انه يجب للوالي
ان يجاهد اعداء المسلمين كما قال عز وجل واعدوا لهم ما استطعتم من
قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم كذلك يجب للعقل
ان يعادي الهوى فالهوى من اعداء الله عز وجل بدلالة قوله عليه السلام
ما في الارض معبود ابغض الى الله من الهوى ثم تلا افرايت من اتخذ
الهه هواه وكما ان من استحوذ عليه الشيطان انساه ذكر الله كذا
العقل اذا استحوذ عليه الهوى وكما انه يجب للوالي ان يسالم اعاديه

اذا لم يقوى عليهم كما قال وان جنحوا للسلم فاجنح لها وان لا يركن اليهم
وان سالمهم كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا كذا يجب للعاقل ان
يسالم الاشرار من قوى النفس اذا عجز عنها وان لا يركن اليها وكما ان
الوالى اذا احس بقوة يحتاج ان يعدل الى نقض العهد واظهار
المعاداة كما قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد كذا حق العقل
اذا قوى على قوى النفس ان لا يذل تحتها وكما ان شياطين الانس والجن
يضعف كيدهن على من اختص بالايمان واستعاذ بالله ويقوى على من
والاها كما قال عز وجل انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون
كذلك يضعف كيد الهوى على العقل اذا تقوى بالله واستعاذ به فحق
العقل ان يستعيذ من الهوى والشره والحرص والامل وان يطهر ذاته
منها ومن ساير القوى الرديه استعاذة ابرهيم عليه السلام حيث
قال رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فالقوى
الرديه الدنيه فى ذات الانسان جارية مجرى اصنام قل ما ينفك النفس
من عبادتها كما قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
نفس الانسان من عبادتها كما قال عز وجل وذكروا مثلا آخر فقالوا

تخص

والارادات

كل انسان

كل انسان مع بدنه كوالى فى بلد قيل له طهر بلدك من النجاسات وادب
من يقبل التاديب من اهله ورض ما يقبل الرياضة من حيوانه وسباعه
ومن عاند فيه لا يقبل التاديب والرياضة فاحبسه او اقتله ولكن
بالحق كما قال عز وجل ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وان
عجزت عن تطهير عرصته من الانجاس وعن تاديب طغاته ورياضة
حيواناته وسباعه فلا تعجز عن صيانة نفسك عن التلطخ بنجاساتها وعن
الاحتراس من ان يفترسك سباعه وان يسبيك طغاته حتى اذا
لم تكن غالبا لم تكن مغلوبا فصار الناس فى ذلك من ثلثة اصناف متهور
فيما فوض اليه جرح واسر فصار عبد ربه مع كونه مجروحا وماسورا
ملوما مخذولا وصنف احترز فعل ما امر به فادى حق الاياله فصار
عبد ربه ماجورا مشكورا وصنف جدناه وقصر هارة فجرح وجرح
وغلب وغلب فهو كما قال خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله
ان يتوب عليهم وقال بعضهم الانسان اذا اعتبر مع قوة التخيل
وقوة الغضب وقوة الشهوة فمثله مثل من هو فى سفره يلى بصحبة
ثلثة اشرار اضطر اليهم حتى لا يمكنه ان ينفصل عنهم ويقضى
سفره من دونهم فهو معهم كما قيل

امتنع

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدوا له ما من صداقته بد
فيا نكد الدنيا متى انت نازح عن الحر حتى لا يقارنه ضد
فواحد امامه هو له رقيب يحفظه وعين تكلاوه ولكنه ملق باهت مموه
يلفق الباطل تلفيقا ويختلق الزور اختلاقا فيخلط الكذب بالصدق والخطاء
بالصواب والثاني عن يمينه فطس نطس زعر يحميه عن اعاديه لكنه
كثيرا ما يغويه فيهيج هايجه فلا يقمعه النصح ولا يطاطاه الرفق كانه
نار في حطب او سيل في صبب او قرم مغتلم او سبع تاكل فيحتاج ان يسكنه
دايما فيجتني به ومنه فهو معه كما قيل راكب الاسد يهابه الناس وهو في نحيبه
اهيب والثالث عن يساره وهو الذي ياتيه بالمطعم والمشرب ادعن
ملق قذر شبق كانه خنزير اجيع فارسل في خلاه تاتيه احيانا باطعمة
هنية واحيانا باطعمة خبيثة فيكرهه على تناوله فهو يحتاج ان يصابر
حتى يقطع سفر فيبلغ ارضا مقدسة يشرب فيها السخلة والذيب
والنعجة من حوض واحد فيامن فيها بوايقهم ومن حيلته التي يرجى له ان
يسلم منهم بها ان يسلط هذا الفطس الزعر على هذا الادعن القذر
حتى يزيره زيرا وان يطغى علو هذا الزعر الثانيه بخلافة هذا الادعن
الملق وان لا يجنح الى الباهت المتحرص حتى توتيه موثقا من الله

بطش

غليظا ثم يصدقه فيما ينبيه اليه فجعل الملق الباهت كناية عن الفهم
والفطس الزعر عن الغضب والادعن الملق عن الشهوة وجعل الارض
المقدسة عبارة عن دار السلام وذكر ان حيلته في ان يسلم منهم ان يدفع
بعض هذه القوى ببعض دفع الشر بالشر كون الانسان هو
المقصود من العالم وايجاد ما عداه لاجله المقصود من العالم
وايجاده شيا بعد شي هو ان يوجد الانسان فالغرض من الاركان
ان يحصل منها النبات ومن النبات ان يحصل الحيوانات ومن الحيوانات
ان يحصل الاجسام البشرية ومن الاجسام البشرية ان يحصل
منها الارواح الناطقة ومن الارواح الناطقة ان يحصل خلافة الله
في ارضه فيتوصل بايفاء حقها الى النعيم الابدي كما دل عليه بقوله
اني جاعل في الارض خليفة وجعل تعالى سلالة العالم وزبدته وهو
المخصوص بالكرامة كما قال ولقد كرمنا بني آدم الآية وليس
فضله بقوة الجسم فالفيل والبعير اقوى منه اجساما ولا بطول العمر
في الدنيا فالنسر والغراب اطول عمرا ولا بشدة البطش فالاسد
والنمر اشد منه بطشا ولا باللباس فالطاوس والتذرج احسن منه
لباسا ولا بالقوة على النكاح فالحمار والعصفور اقوى منه نكاحا

العالمين

تعالى

الانسان

منه

ولا بكثرة الذهب والفضة فالمعادن والجبال اكثر منه ذهبا وفضة
وما احسن ما قال الشاعر لولا العقول لكان ادنى ضيغم
ادنى الى شرف من الانسان ولما تفاضلت النفوس ودبرت ايدى
الكماة عوالى المران ولا بعنصره الموجود منه كما زعم ابليس حيث قال
خلقتنى من نار وخلقته من طين بل ذلك مما فدحضه الله تعالى به وهو
المعنى الذى صحبه فيه والامر الذى رشحه له وقد اشار اليه بقوله
فاذا سويته ونفخت فيه من روحى وبقوله خلقت بيدى والملايكة
لما نبههم الله بفضل آدم تنبهوا فاذعنوا وسجدوا له كما امروا وابليس
لما نظر الى ظاهر آدم ومبديه تعامى عما ذكر الله تعالى ولم يتامل المعنى
الذى ضمنه الله آدم والعاقبة التى جعلها الله له فابى واستكبر وقد
اقتدى بابليس الكفار فى ازدراء الانبياء حيث قالوا ما هذا الا بشر
مثلكم يريد ان يتفضل عليكم وقوله عنهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام
ويمشى فى الاسواق ونبه تعالى ان الاعتبار بفضلهم ليس بظاهر
ابدانهم وانما ذلك لمعنى فى نفوسهم يعمى عنها الكفار فقال وتريهم ينظرون
اليك وهم لا يبصرون اى لا يعرفون ما فضلتهم فمن وفق لفضل ما
اعطى ولما رشح له واعد ثم سعى فى منالة فقد اوتى خيرا كثيرا وما

يذكر الا اولوا الالباب الغرض الذى لاجله اوجد الانسان ومنا زلهم
الغرض منه هو ان يعبد الله ويخلفه وينصره ويعمر ارضه كما نبه عليه
بايات فى مواضع مختلفة حسب ما اقتضت الحكمة ذكره وذلك قوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله انى جاعل فى الارض
خليفة وقوله ويستخلفكم فى الارض وقوله وليعلم الله من ينصره
وقوله يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقوله واستعمركم فيها
وكل ذلك اشارة الى توليتهم امورا لم يستصلح لها الا الانسان كما
نبه عليه بقوله تعالى للملايكة انى اعلم ما لا تعلمون وذلك ان الله تعالى
موجد لما هو موجده وفاعل لما هو فاعله على اربعة اوجه الاول افعال
تولاها بذاته وهى الابداعات ومعنى الابداع هو ايجاد الشى عن عدم
واليه اشار بقوله تعالى بديع السموات والارض والثانى افعال
استعبد ملايكته وسماه قوم التكوينات وذلك اخراج الشى من
النقص الى الكمال اخراجا غير محسوس فاعله وبذلك وصفهم فى قوله
تعالى فالمدبرات امرا فالمقسمات امرا وهم ثلثة اضرب ضرب اليهم
القيام بالاجرام السماوية وقد قيل هم اسرافيل وجبرئيل وميكائيل
ورضوان والمحتفون بالعرش الموصوفون بقوله وترى الملايكة حا

من حول العرش وقوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بحمد ربهم الآية وضرب لهم تدبير الاركان الهوائية كالملائكة الباعثة
للرياح والمزجية للسحاب الموصوفين بقوله تعالى والنازعات غرقا والمرسلات
عرفا وضرب اليهم تدبير الارض كالموصوفين بقوله تعالى له معقبات من
بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وكمن وصفه النبي صلى الله عليه وسلم
في صفة الجنين انه تعالى بعث ملكا فينفخ فيه الروح وكالحفيظ والرقيب
والعتيد وكمن وصفهم بقوله تعالى الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف
من الملائكة منزلين والثالث افعال سخرها الاركان وموجودات العالم
كالاحراق والاذابة للنار والترطيب للماء وفي الجملة ما قد سخر الله تعالى
له شيئا فشيئا من الجمادات والنامیات وغير ذلك ونبه عليه بقوله
وسخر لكم الشمس والقمر وغير ذلك من الآيات المذكورة والرابع
الصناعات والمهن المحسوسة التي استعبد الانسان فيها واستخلفه وهي
الاشياء التي يحتاج صنعها اكثرها الى ستة اشياء الى عنصر يعمل منه
والى مكان والى زمان والى حركة والى اعضاء والى آلة وهذا الضرب خص
الانسان به ولم يستصلح له الملائكة كما استصلح الملائكة لامور لم يستصلح
لها الناس وجعل لكل من الملك مقاما معلوما كما نبه بقوله تعالى ذاكرا

عنهم وما منا الا له مقام معلوم وكذلك جعل لكل نوع صنف من
الناس مقاما معلوما كما نبه عليه بقوله قل كل يعمل على شاكلته
وقوله عليه السلم كل ميسر لما خلق له لكن عامة الملائكة لم يعصوا الله
فيما امرهم كما وصفهم بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
والناس فيما امروا به وكلفوه بين مطيع وعاص فهم على القول المجمل ثلثة
اضرب ضرب اخلوا بامر وانسلخوا عما خلقوا لاجله واتبعوا خطوات
الشيطان وعبدوا الطاغوت وضرب وقفوا بغاية جهدهم حيث ما وقفوا
كالموصوفين بقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وضرب
تردد وابين الطريقين كما قال خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فمن رجح حسناته
على سيآته فموعود بالاحسان اليه وعلى الانواع الثلثة دل بقوله تعالى
وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب
المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون اولئك المقربون
وعلى هذا قسم في آخر السورة فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم الى آخره وكثير من الناس يعصون الله ولا يأتمرون له فيقيضهم
الله تعالى بغير ارادة منهم للسعي في نصرتهم من حيث لا يشعرون كفرعون
في اخذ موسى وتربيته وجمعه السحرة ليكون سببا لايمانهم بالله وبموسى

الطرفين

وكاخوة يوسف في فعلهم بيوسف ما افضى به الى ملك مصر وتمكنه مما تمكن
منه ويكون مثلهم في ذلك كما قيل قصدت مساءتي واجتلبت مسرتي وقد
يحسن الانسان من حيث لا يدري فيكون فعله محمودا وفاعله مذموما كما
قيل رب امر اتاك لا تحمد الفعال منه وتحمد الافعالا . وقد اوجد الله تعالى
كل ما في العالم للانسان كما نبه عليه بقوله جعل لكم الارض فراشا
والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فقال
والانعام خلقها لكم وقال وسخر لكم ما في السموات الآية وقال وسخر لكم
ما في الارض الآية وقوله هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب
الى قوله ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وسخر لكم الليل الآية واباح
جميعها لهم كما نبه بقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده . فللانسان
ان ينتفع بكل ما في العالم على وجه اما في غذائه واما في دوائه او في ملبوساته
ومشموماته ومركوباته وزينته والالتذاذ بصوته وروحه والاعتبار
به واستفادة علم منه والاقتداء بفعله فيما يستحسن منه والاجتناب عنه
فيما يستقبح منه وقد نبه الله تعالى على منافع جميع الموجودات واطلع
الخلايق عليها اما بالسنة الانبياء او بالهام بعض الاولياء وكما ان حق
الانسان ان يعرف منافع الحيوانات في ذواتها فينتفع بها في المطاعم والملابس

والادوية فحقه ان يعرف اخلاقها وافعالها فينتفع بها في اجتناب ما يستحسن
واجتناب ما يستقبح منها فقد احسن من قال تعلمت من كل شي احسن
ما فيه حتى من الكلب حمايته على اهله ومن الغراب بكوره في حاجته
وقد اشار الله تعالى الى ذلك في وصف النحل فقال واوحى ربك الى النحل
ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات
الآية فنبه ان الانسان حقه ان يقتدي بالنحل وحي الله في نحوي المصالح
طبعا كذي يجب للانسان ان لا يتخطى وحي الله اختيارا والله اعلم

في مراعاة وحي الله فكما انها لا تتخطى

تفاوت الناس واختلافهم

الاشياء كلها متساوية
غير متفاوتة من حيث انها مصنوعة بالحكمة وعلى ذلك نبه بقوله تعالى
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومختلفة من حيث ان كل نوع يختص
بفايدة وكل نوع وان اختلف فما شي اكثر اختلافا وتفاوتا من الناس كما قال
وقد خلقكم اطوارا وقد قال تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وقال تعالى
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا
وقال ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم وقال جعلكم
خلايف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك

خلقهم وعلى هذا نبه بقوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات
من اعناب وزرع الى قوله ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون والحكمة المقتضية
لذلك هو ان الانسان لما كان غير يكفي بنفسه حتى لو ان انسانا حصل
وحده لامتنع او لتعذر بقاؤه ادنى مدة فان اول ما يحتاج اليه الانسان
ما يواريه وما يغذوه وليس يجد ما يواريه مصنوعا ولا ما يغذوه مطبوخا
كما لا يكون لكثير من الحيوانات بل هو مضطر الى اصلاحهما واصلاح ذلك
يحوجه الى الات غير مفروغ منها والانسان الواحد لا توصل له الى اعداد
جميع ما يحتاج اليه ليعيش به العيشة الحميدة فلم يكن بد للناس من
يشاركه ويعاونه فجعل لكل قوم صنعة وهيئة معاونة للصنعة الاخرى
وهيأتها لتقسيم الصناعات بينهم فيتولى كل صنف من الصناعات
ما قدر له بتعاطاه باهتزاز كما قال فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب
بما لديهم فرحون فاقتضى ذلك ان يختلف جثتهم وقواهم وهممهم ليكون
كل ميسر لما خلق له كما قال عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له
وقال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته فيكون معايشهم متقسمة
بينهم كما نبه تعالى عليه بالآيات المتقدمة وقال ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم

فالناس

فالناس اذا اعتبروا اختلاف اغراضهم وهممهم فهم في صناعاتهم في حكم المسخرين
وان كانوا في الظاهر مختارين وقد اشار النبي عليه السلام الى ما يتعلق
من المصلحة بتباين الناس واختلاف طبقاتهم فقال لا يزال الناس بخير
ما تباينوا فاذا تساووا هلكوا

سبب تفاوت الناس

اسباب ذلك سبعة اشياء اولها اختلاف الامزجة وتفاوت الطينة
واختلاف الخلقة كما اشير اليه فيما روي ان الله تعالى لما اراد خلق آدم امر ان
يؤخذ قبضة من كل ارض فجاء بنو آدم على قدر طينتها الاحمر والابيض والاسود
والسهل والحزن والطيب والخبيث والى نحو هذا اشار بقوله والبلد الطيب
يخرج نباته الى قوله نكدا وبقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
والثاني اختلاف احوال الوالدين في الصلاح والفساد وذلك ان
الانسان يرث من ابويه آثار ما هما عليه من جميل السيرة والخلق
او قبيحها كما يرث مشابهتهما في خلقتهما ولهذا قال فكان ابوهما
صالحا وعلى نحوه روي انه قال في التوريه اني اذا رضيت باركت وان
بركتي لتبلغ البطن السابع واذا سخطت لعنت وان لعنتي لتبلغ البطن
السابع تنبيها ان الخير والشر الذي يكتسبه الانسان ويتخلق به
يبقى اثره موروثا الى البطن السابع والثالث اختلاف ما يكون منه

النطفة التي تكون منها الولد ودم الطمث التي يتربى به الولد وذلك
له تاثير بحسب طيب ما تكونه به وخبثه ولهذا قال عليه السلم تخيروا
لنطفكم وقال الناكح غارس فلينظر اين يضع غرسه وقال اياكم وخضراء
الدمن قيل وما خضراء الدمن قال المراة الحسناء في منبت السوء
والرابع اختلاف ما ينعقد به من الرضاع ومن طيب المطعم الذي
يربى به ولتاثير الرضاع يقول العرب لمن تصفه بالفضل لله دره
وقال عليه السلام لا تسترضعوا الحمقى فان اللبن يتغذى والخامس
اختلاف احوالهم في تادبهم وتلقينهم وتعويدهم العادات الحسنة
والنبيحة فحق الولد ان يوخذ بالاداب الشرعية واخطار الحق ببالهم
وتعويده فعل الخير كما قال عليه السلم مروهم بالصلوة لسبع واضربوهم
لعشر ويجب ان يصان عن مجالسة الاردياء فانه في حال صباه كما
لشمع يتشكل بكل ما يتشكل به وان يحسن في عينيه المدح والكرامة
ويقبح عنده الذم والمهانة ويبغض اليه الحرص على الماكل والمشرب
ويعود الاقتصاد في تناولها ومخالفة الشهوة ومجانبة ذوي السخف
ويوخذ بقلة النوم بالنهار فهو سبب الكسل ويعود التاني في اقواله
وافعاله ويمنع من مفاخرة الاقران ومن الضرب والشتم والعبث

والاستكثار

والاستكثار من الذهب والفضة ويعود صلة الارحام وحسن
تادية فروض الشرع وقال بعض الحكماء من سعادة الانسان
ان يتفق له في صباه وحدودها من يعوده تعاطي الشريعة حتى اذا بلغ
الحلم نعرف وجوبها فوجدها مطابقة لما تعوده فرسه بصيرته
ونفذت في تعاطيها عزيمته والسادس اختلاف من تخصص
به فياخذ طريقه فيما يتمذهب به والسابع اختلاف اجتهاده في
تزكية نفسه بالعلم والعمل حين استقلاله بنفسه فالفاضل التام
الفضيلة من اجتمع له هذه الاسباب المسعدة وهو ان يكون
طيبا بالطينة معتدل الامزجة جاريا في اصلاب اباء صلحاء
ذوي امانة واستقامة متكونا من نطفة طيبة ودم طمث طيب
على مقتضى الشرع ومرتضعا بدر طيب وماخوذا في صغره بتربية
مرباة بالاداب الصالحة وبالصيانة عن مصاحبة الاشرار ومتخصصا
بعد بلوغه بمذهب حق ومجتهدا بنفسه في تعرف الحق مسارعا الى
الخير فمن وفق في هذه الاشياء نجع فيه الخيرات من جميع الجهات
كما قال الله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويكون جديرا ان
يعد ممن وصفه الله تعالى بقوله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار

وحدودها

والرذل التام الرذيله هو من يكون بعكس ذلك في الامور التي ذكرناها
واعلم ان من طابت احواله انتفع بكل ما سمعه وشاهده ان خيرا فخيرا
وان شرا فشرا ومن خبثت احواله استضر بكل ما سمعه وشاهده وعلى
ذلك دل قوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث
لا يخرج الا نكدا فالخبيث من الارض وان عذب ماؤه لم ينبت بذره
الا خبيثا والطيب من الارض وان لم يطب بذره وملح ماؤه لم ينبت
الا طيبا ولذلك قال تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في
الاكل وقال في صفة كتابه قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين
لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى

بيان الشجرة النبوية وفضايلها على جوهر ساير البرية

اقتضت الحكمة ان يكون الشجرة النبوية صنفا مفردا ونوعا واقعا
بين الانسان وبين الملك ومشاركا لكل واحد منهما على وجه فانهم
كالملايكة في اطلاعهم على ملكوت السموات والارض وكالبشر في احوال
المطعم والمشرب ومثلهم في كونه واقعا بين نوعين مثل المرجان بانه حجر
مشبه للاشجار بتشذب اغصانها وكالنخل بانه شجر مشبه للحيوان
في كونها محتاجة الى التلقيح وبطلانها اذا قطع راسها وجعل تعالى النبوة

في ولد ابرهيم ومن قبله في ولد نوح كما نبه عليه بقوله ذرية بعضها من
بعض فهم عليهم السلم وان كانوا من حيث الابدان كالبشر فهم من حيث
الارواح كالملك اذ قد ايدوا بقوة روحانية وخصوا بها كما قال في عيسى
صلى الله عليه وسلم وايدناه بروح القدس وقال في محمد صلى الله عليه وسلم
نزل به الروح الامين على قلبك وتخصيصهم بهذا الروح ليمكنهم ان
يقبلوا من الملايكة لما بينهم من المناسبة بتلك الارواح ويلقون الى الناس
ما بينهم من المناسبة البشرية ولذلك قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا تنبيها ان ليس في قوة عامة البشر الذين لم يخصوا بذلك الروح ان
يقبلوا الا من البشر ولما عمي الكفار عن ادراك هذه المنزلة وعما الانبيا من
الفضيلة انكروا النبوة الانبيا كما قال تعالى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباونا الاية فالانبيا بالاضافة الى
ساير الناس كالناس بالاضافة الى الحيوانات وكالقلب بالاضافة الى
الى ساير الجوارح وايضا فمنزلة الانبيا من امهم منزلة الشمس
من القمر ومنزلة علمهم من علوم امهم منزلة ضوء الشمس من نور القمر
كما قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فكما ان نور القمر
مقتبس من ضوء الشمس وهو قاصر عنها كذلك منزلة الامم من انبيايهم

مع ح

ومنزلة علومهم من علومهم وكما لا يحصل النور للقمر الا بواسطة الشمس كذلك
لا يحصل علوم الناس وتزكية نفوسهم الا بواسطة الانبياء وعلى هذا
دل تعالى بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم الآية فالله يزكي
الانبياء بواسطة الملك فيزكي سائر الناس بواسطة الانبياء كالطابع
الذي جعل له كتابة ثم بوساطته يثبت في الشموع المختلفة مثل تلك الكتابة

هداية الاشياء الى مصالحها

كلما اوجده الله فانه هداه
لما فيه مصلحته كما نبه عليه بقوله اعطى كل شيء خلقه ثم هدى لكن هدايته
للجمادات بالتسخير فقط كالاشياء الارضية التي اذا تركت نحو الحو
السفل والنار التي تحو انحو العلو وهدايته للحيوانات الى افعال تعاطاها
بالتسخير والالهام كالنحل فيما تعاطاه من السياسة ومن عمل العسل
وكالسرفة فيما تبنيه من الابنية وكالعنكبوت في نسجه وهدايته
للملائكة بالتسخير والالهام وبديهة العقل وما جعل لها من العلوم
الضرورية فاما الانسان فهدايته تعالى له بكل ذلك وبالفكر وذلك انه
بالتسخير ينبعث بنفسه في كثير من حركاته وبالالهام هدايته طفلا
للارتضاع ومص الثدي ولطلب الغذاء والتشكي من الآلام بالبكا
وبديهة العقل يعرف مبادي العلوم وبالفكر يتوصل الى استنباط المجهول

بالمعلوم

بالمعلوم فهو ان كان خلو عاريا من المعارف التي جعلها للحيوانات وآثره
بها من الملابس والاسلحة التي جعلها للحيوانات بالتسخير فقد جعل
للانسان بالعقل والفكر قوة التعلم وتحصيل الملابس والآلات المختلفة
وكلته الى نفسه في الاستفادة ومكنه من ذلك وذلك فضيلة له لا نقيصة
ورفعة له لا ضعة فانه باعطائه العقل والعلم واليد العاملة قد اعطاه
كل شيء ولو اعطى كل شيء حسب ما اعطى البهائم شيئا شيئا لكان قد منع كل
شيء لان بعضه كان يمنعه عن استعمال البعض والى تمكن الانسان
من تحصيل ما يريد اشار تعالى بقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم
لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون
وقد ظن قوم ان الله تعالى خلق الانسان من بين الحيوانات خلقا منقوصا
اذ لم يعط سلاحا يدفع به عن نفسه كما اعطى كثيرا من الحيوانات اسلحة
كالانياب والمخالب ولم يكفهم لباسهم كما كفى الحيوانات بل قد احوجهم
الى تطهير البدن وقد اغناها عنه قالوا ولذلك قال الله تعالى خلق
الانسان ضعيفا وليس كذلك والصحيح عند المحصلين ان الانسان وان
كان ضعيفا بالاضافة الى الباري تعالى والى الملأ الاعلى فليس بقصر عن
الحيوانات من جهة ما ظنه فان الله تعالى بحكمته البارعة اعطى كل واحد

من الحيوان سلاحا بقدر ما علم عن مصلحته انه يتناوله فبعض
جعل له الة للهرب كالعدو وبعض جعل له رماحا يدفع به كالقرن
للبقر والغنم وبعضا دبوسا كالحافر للفرس والحمار وبعضا نشابا
كالشوك للقنفذ وكذلك جعل لكل لباسا حسب كفايته والهم
كلا منها صنعة لطيفة يتعاطاها بطبعه وجعل للانسان بدل
ذلك الفكر والتمييز الذي يمكن ان يتخذ به كل الة وكل ملبس
على قدر حاجته اليه ويتناوله متى شا ويضعه متى ما اوجب
ويستبدل به كيف ما اراد والحيوانات ليس لها ان تضع اسلحتها
متى ما استغنت عنها ولا ان يستبدل فهذا دليل على تمام الانسان
ونقصان الحيوانات والانسان بالفكر والروية يقهر الحيوانات
التي هي اقوى منه لانه يهتدي بفكره لكل منها الة يصطاده بها فاذن
العقل الذي اعطاه يحصل به كل ما يحتاج اليه اعلى واشرف فانه
مراة اذا جلاها اطلع بها على ملكوت السموات والارض **سعادة**
الانسان في رجوعه اليها قال بعض الحكما جعل الله
لكل شي كمالا يشتاق اليه طبعا وقد هداه الى التخصيص به تسخيرا
كما نبه عليه بقوله تعالى اعطى كل شي خلقه ثم هدى وللانسان

سعادات

سعادات اتيحت له وهي النعم المذكورة في قوله وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها وجميع النعم المذكورة والسعادات على القول المجمل ضربان
ضرب دايم لا يبيد ولا يحول وهو النعم الاخروية وضرب يبيد ويحول
وهو النعم الدنيوية متى لم توصلنا الى تلك السعادات فهو كسراب
بقيعة يحسبه الظمان ماء وغرور وفتنة وعذاب كما وصفه الله
في كتابه وما اصدق قول الشاعر انما الدنيا كرويا افرحت
من راها ساعة ثم ايقضت **فصل** ما احد الا وهو نازع الى سعادة
يطلبها بجهده ولكن كثيرا ما يخطي فيظن ما ليس بسعادة في
ذاته انه سعادة فيعثر بها فيكون كالموصوف بقوله والذين كفروا
اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده
شيا وبقوله اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون
مما كسبوا على شي ذلك هو الضلال البعيد وما اصدق ما قال الشاعر
كل يحاول حيلة يرجو بها دفع المضرة واجتلاب المنفعه
والمرء يغلط في تصرف حاله فلربما اختار العنا على الدعه
فصل النعم الدنيوية انما يكون نعمة وسعادة متى تولى تناول على
ما يجب وكما يجب وتحرى به الوجه الذي لاجله خلق وذلك ان الله تعالى

جعل الدنيا عارية ليتناول منها قدر ما يتوصل به الى النعم الدائمة
والسعادة الحقيقية وشرع لنا في كل منها حكما بين فيه كيف
يجب ان نتناول ويتصرف فيها لكن صار الناس في تناولها فريقين
فريق تناوله على الوجه الذي جعله الله لهم فانتفعوا به فصار ذلك
لهم نعمة وسعادة وهم الموصوفون بقوله الذين ان مكناهم في
الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر ولله عاقبة الامور وقوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين وقوله والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة فهولاء حيوا بها
حيوة طيبة كما قال فلنحيينه حيوة طيبة وفريق تناولوها لا
على الوجه الذي جعلها الله لهم فركنوا اليها فصار ذلك لهم نقمة
وشقاوة فيعذبوا بها عاجلا وآجلا وهم الموصوفون بقوله انما يريد
الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم **فصل**
السعادات الاخروية ليس لنا تصور كنهها ما دمنا في دار الدنيا
ولذلك قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وكما قال النبي
صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين

رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والسبب في القصور
عن تصورها شيآن احدهما ان الانسان لا يمكن ان يعرف حقيقة
الشيء ويتصوره حتى يدركه بنفسه واذا لم يدركه ووصف له يجري
مجرى صبي يوصف له لذة الجماع فلا يمكنه ان يتصور حقيقته حتى
يبلغ فيباشر بنفسه وحالنا في اللذة الاخروية هكذا فانا لا
نتصورها على الحقيقة الا اذا طالعناها فاذا طالعناها شغلنا
الفرح والتلذذ بها عن كل ما دونه كما قال ان اصحاب الجنة اليوم في
شغل فاكهون والثاني ان لكل قوة من قوى النفس وجزء من اجزاء
البدن لذة تختص بها لا يشاركها فيها غيرها فلذة العين في النظر الى
ما يستحسنه ولذة السمع في الاستماع الى ما يستطيبه ولذة
اللمس في مس ما يستلذه ولذة الوهم في تصور ما يؤمله ولذة الخيال
في تخيل ما يستحسنه وتصوره ولذة الفكر في امر مجهول يتعرفه وكل
واحد من هذه القوى والاجزاء اذا عرض لها آفة يعوقها عن شهوته
وعن ادراك لذته يكون كالمريض الذي لا يشتهي وان كان به ظماء
واذا تناوله لم يجد لذته فمن يكن ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا
وكذلك ان اللذات الاخروية هي لذات لا تدرك الا بالعقل المحض

تخيله

الماء

وعقول اكثر من في هذه الدار موقوفة معوقة عن ادراك حقايق اللذات تدرك
الاخروية فلا يشعر بها عوقت ولا الخبيثات المتناولة كالخدر
وكالمريض الذي لا يحس بالجوع وان كان جوعه يوذيه ولا يشتهي
الطعام وان كان فقد الطعام يضعفه بل انما يحس بالجوع اذا
زال السبب المولم ولذتها عرضت له فلا يحس بالسبب المولم في حاله
من آفة وايضا فعقول اكثرنا ناقصة وجارية مجرى عقول الصبيان
الذين لم يبلغوا مبلغ رجال قد عرفوا حقايق الاشياء فكما ان
الصبيان ما داموا صغارا لا يحسون باللذات والالام التي تعرض
الرجال فيغالون بالاباطيل والاضاليل كذلك من كان في عقله صبيا
لم يطلع على الحقايق وبالاعتبار لهم قال وما هذه الحيوة الدنيا الا
لهو ولعب وقال ولا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
ولما اراد الله ان يقرب معرفة تلك اللذات من افهام الكافة شبهها
ومثلها بانواع ما يدركها حواسنا فقال مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها انهار من ماء غير آسن الآية ليتبين الكافة طيبها بما عرفوه من
طيب المطاعم فقال مثل الجنة التي ولم الجنة لينبه الخاصة على ان
ذلك تصوير وتمثيل فالانسان وان اجتهد ان يطلع على تلك السعادات

فلا سبيل له اليها الا على احد الوجهين احدهما ان يفارق هذا
الهيكل ويخلف وراءه هذا المنزل فيطلع على ذلك كما قال يوم يأتي
بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت
في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون والثاني بان يزيل قبل
مفارقة الهيكل الامراض النفسانية المشار اليه بقوله تعالى في
قلوبهم مرض وارجاسها المشار اليها بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس فيطلع من وراء ستر رقيق على بعض ما اعد له كما حكي عن
حارثة حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم عزفت نفسي عن الدنيا
فاستوى عندي حجرها ومدرها وكاني اطلع على اهل الجنة يتزاورون
وعلى اهل النار يتضاغون فقال عليه السلام عرفت فالزم وقال
امير المومنين رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا

حال الانسان في دنياه وما يحتاج ان يتزود منها

الانسان مسافر ومبدأ سفره من حيث ما اشار اليه تعالى بقوله
قال اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى
فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى وحيث ما قال في صفة بنيه
واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية ومنتهى سفره

دار السلام ودار القرار وله في سفره اربعة منازل ظهر ابيه وبطن امه
وظهر الارض والموقف وله حالتان حالة فيها مستودع وهو ما
دام في هذه المنازل وحالة فيها مستقر وهو اذا حصل في دار
القرار والى ذلك اشار بقوله وهو الذي انشاكم من نفس واحدة
فمستقر ومستودع والمنزل الذي فيه يحتاج ان يتردد ظهر
الارض فالانسان في كدح وكبد ما لم ينته الى دار القرار كما قال
تبارك وتعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
وقال لقد خلقنا الانسان في كبد وهو يجول على طلب الراحة لكن
الناس في طلبها ضربان ضرب عموا عن الآخرة وقالوا ما هي الا حيوتنا
الدنيا نموت ونحيى او فعلوا فعل من قال ذلك وان لم يقولوا قولهم
فطلبوا الراحة من حيث لا راحة وهم كالموصوفين بقوله والذين
كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا
جاءه لم يجده شيئا وقوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض الاية فانهم طلبوا من الدنيا
ما ليس في طبعها ولا موجودا فيها ولها وما احسن ما قال الشاعر ت
في ذلك اريد من زمني ذا ان يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمن

وما قال آخر مضى قبلنا قوم رجوا ان يقوموا بلا تعب عيشا فلم يقوموا
وضرب عرفوا الدنيا والآخرة وان الدنيا كما قال تعالى ولكم في الارض
مستقر ومتاع الى حين وان الدار الآخرة لهي الحيوان وعلموا
ان فيها يستقر الانسان ويطمئن كما قال يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الاية وانه يحتاج ان يسافر اليها كما قال صلى الله عليه وسلم
سافروا تغنموا فاحتملوا المشقة علما ان كل تعب يودي بهم الى راحة
فهو راحة فسعدوا كما قال تعالى واما الذين سعدوا ففي الجنة وقد
جعل الله للانسان حرثين مفيدين في الدارين احدهما روحاني
كالمعارف والحكم والعبادات والاخلاق الحميدة وثمرته الحيوة
الابدية والعمى الدائم والاستكبار منه محمود ولا يكاد يطلبه
الا من قد عرفه وعرف منفعته والثاني جسماني كالمال والاثاث
وفي الجملة ما قد نبه الله تعالى عليه من قوله زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث وثمرته ان يحصل له بها الحيوة
الدنيوية الفانية ويسترجع من الانسان اذا فارق دنياه ولا ينتفع
منه بشيء الا بقدر ما استعان به في الوصول الى الزاد الاخروي كما

نبّه عليه بقوله وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع ولا يولع
بالركون اليه الا من جبله صفايها ومنافعها والاستكثار منه
ليس بمذموم ما لم يكن منقطعا بصاحبه عن مقصده وكان
متناولا على الوجه الذي يجب كما يجب ومجعولا الى الوجه الذي
ينفع به في مقصده لكن تناوله على هذا الوجه والاستكثار منه لا
ينافي الا اذا كان السلطان عادلا والامور جارية على ادلالها
فيحفظ الناس من متاعهم على مقتضى الشرع ثم يكون صاحب حاجة
مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم فاما اذا لم يكن الامر كما ذكرناه من
الاستقامة فليس الا الاقتصاد والاقتصار والتبلغ بما امكن حتى
ينقضي السفر والموفق في الدنيا اذا راى نفسه قاصرة عن الجمع
بين الامرين اهتم بما يبقى واقل العناية بما يفنى وآثر الحيوة الاخرة
على الدنيا فلا يلتفت الى الدنيا الا بقدر ما يتبلغ به الى الاخرة
مراعيا فيه حكم الشرع ومحافظا على قوله يا ايها الناس ان وعد الله
حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ما انا والدنيا انما مثلي فيها مثل راكب سار
في يوم صائف فرفعت له شجرة فنزلت فقال في ظلها ساعة ثم راح

وتركها وقد نبه الله تعالى على من يريد ان يتجرد ويتخلص من حبالة
الدنيا على سبيل المثل بقوله ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه
فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده
ومحبة الدنيا كما قال عليه السلم حب الدنيا راس كل خطيئة وقد
روي عنه عليه السلام من سكن قلبه حب الدنيا بلي بثلث شغل
لا يبلغ مداه وفقر لا يبلغ غناه وامل لا يبلغ منتهاه وقال عليه السلم
من كانت الدنيا اكبر همه فرق الله تعالى عليه امر ضيعته وجعل
فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت
الاخرة اكبر همه جمع الله تعالى شمله وجعل غناه في قلبه واتته
دنياه وهي راغمة وهذا معنى قوله من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في
الاخرة من نصيب ومعرفة ذلك والوصول اليه لا يمكن الا ان
يستضيء العقل بالشرع معتمدا على من له الخلق والامر تبارك
الله رب العالمين **تظاهر العقل والشرع وافتقار احدهما
الى الآخر** اعلم ان العقل لن يهتدي الا بالشرع والشرع
لن يتبين الا بالعقل فالعقل كالاس والشرع كالبناء ولن يغني

اس مالم يكن بناء ولن يثبت بناء مالم يكن اس وايضا فالعقل
كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني الشعاع مالم يكن بصر
فلهذا قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله
من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور
باذنه وايضا فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمده
فمالم يكن زيت لم يحصل السراج ومالم يكن سراج لم يضيء الزيت
وعلى هذا نبه بقوله الله نور السموات والارض وايضا فالشرع
عقل من خارج والعقل شرع من داخل وهما يتعاضدان بل
يتحدان ولكون الشرع عقلا من خارج سلب الله تعالى اسم العقل
من الكافر في غير موضع من القرآن نحو صم بكم عمي الاية ولكون
العقل شرعا من داخل قال في صفة العقل فطرة الله التي فطر
الناس عليها الاية فسمى العقل دينا ولكونهما متحدين قال نور على
نور اي نور العقل ونور الشرع ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء
فجعلهما نورا واحدا فالشرع اذا فقد العقل عجز عن اكثر الامور
عجز العين عند فقد النور واعلم ان العقل بنفسه قليل الغناء
لا يكاد يتوصل الا الى معرفة كليات الشي دون جزئياته نحو ان

يعلم جملة حسن اعتقاد الحق وقول الصدق وتعاطي الجميل وحسن
استعمال المعدلة وملازمة العفة ونحو ذلك من غير ان يفرق في
ذلك من شي شيئا والشرع يعرف كليات الشي وجزئياته ويبين
ما الذي يجب ان يعتقد في شي شي وما الذي هو معدله في شي
شي ولا يعرفنا العقل مثلا ان لحم الخنزير والدم والخمر محرمة
وانه يجب ان يتحاشى من تناول الطعام في وقت معلوم وان لا ينكح
ذوات المحارم وان لا يجامع المراة في حال الحيض فان اشباه ذلك
لا سبيل اليها الا بالشرع فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة
والافعال المستقيمة والدال على مصالح الدنيا والاخرة ومن
عدل عنه فقد ضل سواء السبيل ولاجل ان لا سبيل للعقل
الى معرفة ذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وقال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا الاية والى العقل والشرع اشار بالفضل
والرحمة بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان
الا قليلا وعني بالقليل المصطفين الاخيار

فضيلة الشرع

اعلم ان احكام الشرع من وجه دواء معجون مفروغ عنه

تولى ايجاده من له الخلق والامر وهو دواء مفيد للحيوة الابدية
والسلامة الدائمة كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه
وقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فجعل ذلك
روحا لافادة الحيوة الابدية وقوله قل هو للذين آمنوا
هدى وشفاء وقوله وشفاء لما في الصدور وبراية ومن وجه
هو ماء مطهر مزيل للانجاس والارجاس النفسانية كما قال
تعالى في صفة القرآن انزل من السماء فسالت اودية بقدرها
وكذلك قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الاية ومن وجه
هو نور وسراج مزيل للظلمة والحيرة والجهالة كما قال تعالى
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله الاية وقوله
الله نور السموات والارض الاية ومن وجه هو وسيلة الى الله
كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة
وقوله واعتصموا بحبل الله جميعا وقوله فليرتقوا في الاسباب
ومن وجه هو الطريق المستقيم كما قال تعالى هذا
صراط علي مستقيم وقال وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
الاية **فصل ذكر بعض العلماء** ان الارض

المقدسة المذكورة في قوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
الآية هي في الدنيا الشريعة وفي الآخرة الجنة لانها هي
الذي اذا دخلها الانسان ولم يرتد على ادباره نال السعادات
الكبرى ونال المثوبة فاما بيت المقدس في الارض فان من يدخلها
فبنفس دخوله اياها لا يستحق مثوبة بل المثوبة يستحق
احدهما
بامور آخر يكون دخول المكان الذي هو بيت المقدس احدها بعد
ان يكون دخوله على وجه مخصوص في حال مخصوص قال وعلى
هذا الحرم المذكور في قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا
ويتخطف الناس من حولهم براية وسال جعفر الصادق رضي الله عنه
بعض الفقهاء عن هذه الاية فقال يريد بها مكة فقال واعجبا
والى اي ارض اكثر تخطفا لمن حوله من مكة ويدل على ما قال
قوله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها
الاية وكذا قوله واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكذا
السفر المدعوه فيه غنيمة بقوله صلى الله عليه وسلم سافروا
تغنموا هو السفر الى هذه الدار وكذا الفرار المدعو اليه من
بقوله
حيث الميل ففروا الى الله وكذا الحج الاكبر الذي دعا الناس
اليه

بقوله واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر وقوله
ولله على الناس حج البيت الايه وكذا الجهاد الاعظم في قوله
وجاهدوا في الله حق جهاده والهجرة الكبرى في قوله الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها **البيان في ان من لم يتخصص**
الشرع وعبادة الله فليس بانسان لما كان الانسان
انما يصير انسانا بالعقل ولو توهمنا العقل عنه مرتفعا لخرج
عن كونه انسانا ولم يكن اذا تخبط الشبح الماثل الابهية مهملة
او صورة ممثلة والعقل لن يكمل بل لا يكون عقلا الا بعد اهتداء
بالشرع كما تقدم ولذلك نفى العقل عن الكفار لما تعرى عن
اهتدايه بالشرع في غير موضع من كتابه والاهتداء بالشرع
هو عبادة الله تعالى فالانسان اذا في الحقيقة هو الذي يعبد الله
ولذلك خلق كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وكل ما اوجد لفعل فمتى لم يوجد منه ذلك الفعل
كان في حكم المعدوم ولذلك كثيرا ما يسلب عن الشيء اسمه
اذا وجد فعله ناقصا كقولهم للفرس الردي ليس هذا بفرس
وللانسان الردي ليس هو بانسان ويقال فلان لا عين له ولا

اذن له اذا بطل فعل عينه واذنه وان كانتا بحثتهما باقيتين وعلى
هذا قال صم بكم عمي فهم لم ينتفعوا بهذه الاعضاء فالانسان
يحصل له الانسانية بقدر ما يحصل له العبادة التي لاجلها
خلق فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الانسانية ومن
رفضها فقد انسلخ من الانسانية فصار حيوانا ودون الحيوان
كما قال في صفة الكفار ان هم الا كالانعام الايه وقال ان
شر الدواب عند الله الايه فلم يرض ان جعلهم انعاما ودوابا
حتى جعلهم اضل منها وجعلهم من اشرارها واخرج كلامهم من
جملة البيان فقال وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء
وتصدية تنبيها انهم كالطيور التي تمكو وتصدي ونبه تعالى بنكتة
لطيفة ان الانسان لا يكون انسانا الا بالبيان ولا بيان الا
بقدرته على الاتيان بالحقايق الدينية فقال تعالى الرحمن علم القران
خلق الانسان علمه البيان فابتدا بتعليم القران ثم بخلق الانسان
ثم بتعليم البيان ولم يدخل الواو فيما بينها وكان الوجه على متعارف
الناس ان يقول خلق الانسان وعلمه البيان وعلم القران فان ايجاد
الانسان بحسب نظرنا مقدم على تعليم القران لكن لما لم يعد الانسان

انسانا مالم يتخصص بالقرآن ابتداء بالقرآن ثم قال خلق الانسان
تنبيها على انه بتعليم القرآن جعله انسانا ثم قال علمه البيان تنبيها
ان البيان الحقيقي المختص بالانسان يحصل بعد معرفة القرآن
فنبه بهذا الترتيب المخصوص وترك حرف العطف منه وجعل كل
جملة بدلا مما قبله لا عطفا ان الانسان مالم يكن عارفا برسوم
العباده ومتخصصا به لا يكون انسانا وان كلامه مالم يكن على مقتضى
الشرع لا يكون بيانا فان قيل فعلى ما ذكرت لا يصح ان يقال للكافر انسانا
وقد سماهم الله بذلك في عامة القرآن قيل انا لم نقل انا لم نسم الكافر
انسانا على تعارف الكافة بل قلنا قضية العقل والشرع ان لا يسمى به يقتضي
الا مجازا مالم يوجد منه الفعل المختص به ثم ان سمي به على سبيل
تعارف العامة فليس ذلك بمنكر فكثير من الاسماء يستعمل على
وجه فيبين الشرع ان ليس استعماله على ما استعملوه كقولهم الغني
فانهم استعملوه في كثرة المال وقال عليه السلام ليس الغني بكثرة المال
انما الغني غنى النفس فبين ان الغني ليس هو كثرة المال وقد قال تعالى
ومن كان غنيا فليستعفف اي كثير العرض فاستعماله على ما هو متعارف
وجملة الامر ان اسم الشيء اذا اطلقه الحكيم على سبيل المدح يتناول

الاشرف

الاشرف كقوله انه لذكر لك ولقومك وقوله ورفعنا لك ذكرك
وان كان الذكر قد يقال للمحمود والمذموم وعلى هذا يمدح
كل شيء بلفظ نوعه فيقال فلان هو انسان وهذا السيف
سيف ولهذا قيل الانسان المطلق هو نبي زمانه وقال
بعض العلماء قول من قال الانسان هو الحي الناطق الميت
صحيح وليس معناه ما توهمه كثير من الناس من له الحيوة
الحيوانية والموت الحيواني والنطق الذي هو في الانسان
بالقوة انما اريد بالحي من كان له الحيوة المذكورة في قوله لينذر
من كان حيا وبالنطق البيان المذكور في قوله علمه البيان
وبالميت من جعل قوته الشهوية والغضبية مقهورتين على
مقتضى الشريعة فيكون حينئذ مينا بالارادة حيا بالطبيعة
كما قيل ميت بالارادة حي بالطبيعة وكما روي من امات نفسه
في الدنيا فقد احياها في الآخرة

ما يتعلق به الشرع من الافعال للانسان

ضربان من الاحوال لا ينفك منها
ضرب لا يلحقه فيه محمدة ولا مذمة ولا في جنسه تكليف
وذلك شيآن احدهما احوال ضرورية لا يمكنه ان تنفصى عنه

كنبض العرق والتنفس وما يجري مجراها من الاحوال الضرورية
والاخر ما يقع من الانسان على سبيل السهو والخطا وان كان
جنسه مقدورا له وهو المذكور في قوله عليه السلم رفع عن امتي
الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وضرب يلحقه فيه
المحمدة والمذمة في جنسه التكليف وذلك ثلثة اشياء احدها
الافعال المختصة بالجوارح كالقيام والقعود والركوب والمشي
والنظر وكل ما يحتاج الى استعمال الاعضاء فيه والثاني حفظ
عوارض النفس كالشهوة والخوف واللذة والفرح والغضب
والشوق والرحمة والغيرة وما اشبه ذلك والثالث ما يختص
بالتمييز والعلم وكل واحد من هذه الثلثة اما ان يحمد عليه الانسان
او يذم فحمده ان يكون افعاله جميلة وعوارض نفسه مستقيمة
وقلبه ذكيا حتى يعتقد الحق ويقوى على معرفته اذا ورد عليه
والمذمة يلحقه اذا كانت على اضداد ذلك والعبادات بهذه
الاشياء الثلثة تختص ولله تعالى في كل فعل يتجراه الانسان
عبادة سواء كان ذلك الفعل واجبا او ندبا او مباحا ويكون
تلك العبادة مبينة اما ببديهة العقل او بالكتاب او بلسان

النبي

النبي او باجماع الامة او بالاعتبارات والاقيسة المبنية على هذه
الاصول وما من حكم الا وكتاب الله ينطوي عليه كما قال تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء عرفه من عرفه وجهل من جهله وما من مباح
الا اذا تعاطاه الانسان على ما يقتضيه حكم الله كان الانسان
في تعاطيه عابدا لله مستحقا لثوابه كما قال صلى الله عليه وسلم
لسعد انك لتوجر في كل شيء حتى اللقمة تضعها في امرأتك ومخاطبته
لسعد بذلك لما عرف منه انه يراعي في افعاله حكم الله تعالى وعلى
هذا الوجه قال ما من مسلم غرس غرسا لم يوكل منه شيء الا كان له
صدقة ومراعاة امر الله في جميع الامور دقيقها وجليلها مستحبة
للكافة وواجب على النبي صلى الله عليه وسلم وكل من يقرب منزلته
من منزلته لقوله تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك

تحقيق العبادة

العبادة فعل اختياري مناف للشهوات
البدنية يراد بها التقرب الى الله طاعة للشريعة فقولنا فعل
اختياري يخرج منه الفعل التسخيري والقهري ويدخل فيه
الترك الذي هو على سبيل الاختيار فان الترك ضربان ضرب على
سبيل الاختيار وهو فعل وضرب هو العدم المطلق لا اختيار معه

بل هو عدم الاختيار وليس بفعل واما قولنا مناف للشهوات
البدنيه يخرج منه ما ليس بطاعة واما الافعال المباحة
كالاكل والشرب ومجامعة المراة فليس بعبادة من حيث
انها شهوه ولكنها قد يكون عبادة اذا تحرى لها حكم الشريعة
وانما قيل يصدر عن نيه يراد بها التقرب الى الله تعالى لانها
ان خلت عن نيه او صدرت عن نيه لم يقصد بها التقرب الى
الله بل اريد به مراءاة لم يكن ايضا عبادة وانما قيل طاعة
للشريعة لان من انشا من نفسه فعلا ليس بسايغ للشريعة
لم يكن عبادة وان قصد به تقربا الى الله تعالى والعبادة اذا
فعل يجمع هذه الاوصاف كلها

انواع العبادة من العلم والعمل

العبادة ضربان علم وعمل وحقهما ان يتلازما
لان العلم كالاس والعمل كالبناء وكما لم يغن اس ما لم يكن بناء
ولم يثبت بنا ما لم يكن اس كذا لا يغني علم بغير عمل ولا عمل بغير
علم ولذلك قال اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه والعلم اشرفهما ولكن لا يغني بغير عمل ولشرفه قال
رجل للنبي عليه السلم اي الاعمال افضل فقال صلى الله عليه وسلم

العلم

العلم فاعاد عليه الثاني فقال العلم فقال الرجل في الثالث اسلك عن
العمل لا عن العلم فقال عليه السلام عمل قليل مع العلم خير من عمل كثير مع
الجهل وقال عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم فالعلم ضربان نظري
وعملي فالنظري ما اذا علم كفا ولم يحتج فيه بعد الى عمل كمعرفة وحدانية
الله تعالى ومعرفة ملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ومعرفة السموات
والارض والعملي ما اذا علم لم يغن حتى يعمل كمعرفة الصلوة والزكوة
والصوم والحج وبر الوالدين والاعمال ثلثة اضرب منها ما يختص بالقلب
ومنها ما يختص بالبدن ومنها ما يشارك فيه البدن والقلب فالعلم اذا نظر
اليه وهو يكتسب فاكتسابه عمل واذا نظر اليه وقد اكتسب وتصور بالقلب
خرج في تلك الحال عن ان يكون عملا ومن وجه اخر ضربان واجب
وندب فالواجب يقال له العدل والندب يقال له الاحسان وهما
المذكوران في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان فالفرض والعدل
تحري الانسان لما اذا عمله اثيب واذا تركه عوقب والندب والاحسان
تحري الانسان لما اذا عمله اثيب واذا تركه لا يعاقب والانصاف من
العدل والتفضل والبر من الاحسان فالانصاف هو مقابلة الخير من
الخير والشر من الشر بما يوازيه والتفضل والبر مقابلة الخير باكثر منه والاحسان
والشر باقل منه

والتفضل احتياط في العدالة والانصاف ليومن ذلك من وقوع
ظلم فيه وذلك انك اذا زدت في اعطا ما عليك ونقصت في اخذ مالك
فقد احتطت واخذت بالحزم وكدفع زيادة على الزكوة الى الفقير
وترك ما حل لك ان تتناول من مال اليتيم والعداله وان كانت جميله
فالتفضل احسن منها ولذلك قال تعالى فمن استوفى حقه فتحري
العدالة ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل وقال بعد
قوله وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم اشارة الى
ان الاحسان والتفضل احسن وقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة
والانسان انما يكون محسنا ومتفضلا بعد ان يكون عادلا ومنصفا
واما من ترك ما يلزمه ثم تحرى ما لا يلزمه فلا يقال له متفضل ولا
يجوز تعاطي التفضل الا لمن كان مستوفيا لغيره وموفيا لنفسه فاما
الحاكم المستوفي والموفي لغيره فليس له الا تحري العداله والنصفه

فصل العلوم من جهة الكيفيه ضربان تصور وتصديق فالتصور
ان يعرف الانسان معنى الشي صح ذلك عنده بدلالة او لم يصح كمن
عرف الصلوة وشرايطها وان لم يثبت صحتها عنده بدلالة والتصديق
هو ان يتصور الشي فيثبت عنده بدلالة يقتضي صحته

صحته الى التصديق والتصديق على ثلثة اضرب اما بغلبة
ظن وهو ان يكون عليه دلالة قد تعرضها شبهة توهنها او تبطلها
كما قال تعالى اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا ذايم
مبصرون واما بعلم اليقين وهو ان يصير بحيث يعلم ويعلم انه يعلم
وانه لا يعترضه شبهه توهنه كالعلم مثلا بان ثلثه وثلثه ستة
وانه لا يصح ان يكون اكثر من ذلك او اقل كما قال انما المومنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله واما بعين اليقين وهو ان يتراى بعقله
الشي ويعاينه ببصيرته في حال اليقظة والنوم وقد نبه الله
تعالى على هذه الوجوه بقوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون
كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم
لتسالن يومئذ عن النعيم فاما التصور المجرد فللعامة
الذين قيل لهم لو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم واما غلبة الظن فللخاصة الذين مدحهم بقوله
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واما علم اليقين فللخاصة واما
عين اليقين فهي الدنيا للانبيا ولبعض الصديقين والى نحوه

اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تنام عيناي ولا ينام قلبي
وبقوله عليه السلم اني ارى من خلفي كما ارى من قدامي وقال امير المومنين
علي كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقال بعض
الحكماء علم اليقين يحصل للعقل بالفكر والذكر فان العقل يدرك
المعارف ويذكرها ويستحضرها اذا نسيها وغفل واشتغل عنها
وبذهنه ينظر اليه دايما كما ينظر الى المحسوس غير غايب عن ابصارنا
بلا حاجة الى بحث وطلب وتفكر وتذكر ولذلك قيل الانسان
بعقل فينظر الى الحق بالفكر والملايكة ينظر اليه دايما بالذهن من
غير حاجة الى تفكر وطلب **فصل** للانسان في استفاده
العلم وافادته ثلاثة احوال حال استفاده فقط وحال استفاده
ممن فوقه وافادة لمن دونه وحال افادة فقط وقل من يستحق
ان يوجد مفيدا غير مستفيد وفوق كل ذي علم عليم الى ان
ينتهي الامر الى علام الغيوب وقد نبه الله تعالى على الحاجة الى
الاستفادة مما حكاه من قول موسى لصاحبه عليهما السلم هل
اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا ونبه بما ذكر في قصة سليمان
عن الهدهد بقوله احطت بما لم تحط به علما بان الكبير قد

يفتقر

يفتقر الى الصغير في بعض العلوم فان الانسان ما دام حيا
يحسن ان لا يخرج من كونه مستفيدا كما قال علي رضي الله عنه الناس
عالم ومتعلم وما سواهما همج يرجع الى تحقيق الغرض من العبادة
تطهير النفس واجتلاب صحتها لم يكلف الله الناس عبادة ما ينتفع
هو تعالى به انتفاع المولى باستعباد عبيده واستخدام حدمه
فان الله غني عن العالمين ولا ليوذيهم فقد قال تعالى يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر بل كلفهم ليزيل انجاسهم وامراضهم
النفسيه فبذلك يكنهم فان ولد يكون حيا بالاضافه الى اصحاب
دار الدنيا ميتا بالاضافه الى اصحاب الدار الاخرة فنافذ اللعين
التي بها يعرفهم والسمع الذي به يسمع محاوريهم واللسان الذي به
يخاطبونه ويخاطبهم والعقل الذي به يعقلهم وليس تلك الحيوة
والعين والسمع ما للانسان في الحيوة الدنيا وكيف يكون ايضا
وقد نفى الله كل ذلك عن الكفار وجعلهم امواتا وعميا فالانسان
له قوة على تحصيل ذلك الامور في ابتداء امره فان اهمل نفسه ماتت
عنه تلك القوة فلا يكون له بعد قبوله فذلك كالفحم اذا صار
رمادا فلا يقبل شفاء ولذلك قال تعالى فيمن شكل هذه القوة

انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم وقال تعالى صم بكم عمي فهم
لا يعقلون وقال ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت وقال
تعالى انما المشركون نجس فقال عز وجل في المؤمنين لينذر من كان
حيا وقال في مدحهم فيهم اولي الايدي والابصار فمن استفاد
الحيوة والصحة والطهارة قبل ان يبطل عنه قوى قبول ذلك فصار
حيا سميعا بصيرا طاهرا وحصل زاده كما امر بقوله فتزودوا فان
خير الزاد التقوى واهتدى بالدليل الموصوف وانك لتهدي
الى صراط مستقيم صراط الله الذي وايتمر له تعالى سابقوا
الى مغفرة من ربكم واقتدى بالموصوفين بقوله يسارعون في الخيرات
فجدير ان يفلح فيحصل هذه السعادة كما قال لعلكم تفلحون

بيان الامراض والانجاس التي لا يمكن ازالتها الا بالشرع

كما ان في بدن الانسان عوارض وامورا موجودة عند الولادة
وعوارض توجد حالا فحالا لحكمة تقتضي ذلك وهي تعد نجاسات
لا بد من اماطتها كلها او اماطة فضولاتها وذلك كالسلا والسوة
والقلفه والعقيقه الموجودة في الصبي عند الولاده وكالاوساخ

والقمل

والقمل والظفر وشعر العانه وشعر الابط كذا في نفس الانسان عوارض هي نجاسات
وامراض نفسانية يلزم اماطتها كالجهل والسرة والعجلة والشح والظلم ويدل على كون
ذلك مخلوقا فيه وامره باماطته واماطة فضلاته ما ذكره الله تع في مواضع من
كتابه قوله تعالى خلق الانسان من عجل ذكر انه مخلوق منه كما ترى ثم امره بان ينحيه
عن نفسه وان لا يستعين به فقال ساريكم اياتي فلا تستعجلون وقوله تع واحضرت
الانفس الشح مع احضاره اياه ووصفه بالكفور والقتور وكان الانسان
كفورا وكان الانسان قتورا فادخل عليه كان تنبيها على ان ذلك فيه موجود
غريزي لا شي طار عليه وقال وكان الانسان اكثر شي جدلا ثم نهى عن الجدال
فان الانسان محتاج ان يستعمل هذه القوى في الدنيا كما يجب وفي وقت ما يجب
وبقدر ما يجب على الحقيقه وان يميط فضولاتها قبل خروجه من الدنيا كما ورد
به الشريعه فانه متى لم يتطهر من النجاسة ولم يزل امراض نفسه لم يجد
سبيلا الى وصول نعيم الاخرة بل ولا طيب الحيوة الدنيا وذلك ان من يتطهر
تجلى من قلبه الغشاوة فيعلم الحق حقا والباطل باطلا فلا يشغله الا ما يعنيه
ولا يتناول الا ما يعنيه فيحيى حيوة طيبة كما قال تع فلنحيينه حيوة
طيبة ولا يصير قيناته وبالا عليه وعذابا كما قال للكفار فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق

ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فامره بتجنب الشح

انفسهم ويصير قلبه اذا تطهر مقر السكينات والارواح الطيبه كما وصف
به المومنين هو الذى انزل السكينة فى قلوب المومنين وعرف الطريق
المتوصل بها الى جنة الماوى ومصاحبة الملاء الاعلى فى مقعد صدق عند
مليك مقتدر فيسارع فى الخيرات ويسابق الى مغفرة من ربه ومتى لم يتطهر
فتثبت نجاسته او تزايدت صار فكره مقر الاثام كما قال تع هل انبئكم على من
تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم ولا يجد سبيلا الى سعادة الدار الاخرة
كما قال تع ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون
فنبه انه لا يصلح جنته ما لم يطهر ذاته عن اشياء مخلوقة منها فعلى هذا نبه قوله تع
ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب فحق الانسان
ان يراعى هذا القوى فيصلحها ويستعملها على الوجه الذى يجب وكما يجب ليكون
من وصفه تعالى بقوله الذين توفيهم الملايكة طيبين يقولون سلام عليكم
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقد يقع للانسان شبهة فى امر هذه النجاسات
فيقول اترى ان ذلك من عند غير الله فان كان من غيره فمن موجده ومن
اين منبعه وان كان منه فما المعنى فى ان اوجده فى الانسان ثم امره بان يزيل فيقال
ما من شيء اوجده الله تع او مكن من استحداثه الا وفيه حكمة ومنفعة وان لم
يعرف البشر لكن من الاشياء ما تنفعه فى وقت مخصوص واذا كان على قدر مخصوص

ثم اذا

ثم اذا استغنى عنه او زاد على قدر ما يحتاج اليه فيجب ان يزال
وذلك اذا تؤمل ان السلا والشعر محتاج اليهما لصيانة الولد
فى وقت ثم يستغنى عنهما فيكون ابقاؤهما بعد نجاسة والظفر
والشعر محتاج اليها اذا كانا على حد واذا زاد يجب اماطتها
القوى التى تجب ازالة امراضها وانجاسها والمعانى
التى يحصل بذلك ازالة النجاسة واجتلاب الطهارة المذكورة
فى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا واماطة المرض واكتساب الصحة المذكورة
وقوله تعالى فى قلوبهم مرض يكون باصلاح القوى الثلاث التى هى
دواعى الانسان فى تصرفاته فهى الشهوة وقوة الحمية وقوة
الفكر فباصلاح قوة الشهوة يحصل العفة فيحترز بها من
الشره وآفات الشهوة ويتحرى بالمصلحة فى الماكول والمشروب
والملبوس والمنكوح وطلب الراحة وغير ذلك عن اللذات
الخسيسة وباصلاح قوة الحمية يحصل الشجاعة فيحترز
من الجبن والتهور والحسد ويتحرى الاقتصاد فى الخوف
والغضب والانفة وغير ذلك وباصلاح قوة الفكر يحصل

الحكمة حتى يحترز من البلاه والحيرة ويتحرى الاقتصاد في
تدبير الامور الدنيوية وليسنا نعني بالحكمة ههنا العلوم
النظرية ونعني به الحكمة العملية التي يتحرى بها المصالح
الدنيوية وباصلاح هذه القوى يحصل في الانسان قوة العدالة
فيقتدي بالله في سياسة نفسه وسياسة غيره فتنقسم
الانسان معادية له كما قال عز وجل اعداء عدوك نفيسة بين
جنبيك فمن ادبها اوقعها امن ظلمها والى هذا اشار الصالحي
وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما اي ولا يخاف ان يظلم نفسه
الشهوة والاعمال الصالحة حصن منها كقوله تعالى ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر **كون الانسان مفطورا على
اصلاح النفس** الانسان مفطور في اصل الخلقة على ان
يصلح افعاله واخلاقه وتميزه وعلى ان يفسدها وميسر له
ان يسلك طريق الخير والشر وان كان منهم من هويه بالجبلة
الى احدهما اميل وعلى تمكنه من السبيلين دل قوله عز وجل
انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وقوله وهديناه
النجدين اي عرفناه الطريقين فكما انه مفطور على الاكتساب

للامرين

للامرين في ابتدائه مفطور على انه اذا تعاطى احدهما الخيرا
وان شرا الفه واذا الفه تعوده واذا تعوده تطبع به واذا
تطبع به صار له طبعا وملكة فيصير به بحيث لو اراد تركه
لم يمكنه كما قيل وتابى الطباع على الناقل ويكون مثله كمثل
شجرة نبت فاعوج فيسهل في الابتداء تثقيفه وتسويته
بخيط يشد فيه او بخشب يغرز بجنبه ويشد ثم اذا غلظ
واشتد مستويا امن ان يعوج بل لا يمكن تعويجه وان ترك حتى
تعوده فيصلب على عوجه لم يمكن بعد تثقيفه كما قيل يقوم بالثقاف
العود لدنا ولا تقوم العود الصليب وعلى هذا الوجه قال
عز وجل ان الحسنات يذهبن السيئات وقال ويدرؤن
بالحسنة السيئة وقد توهم قوم الا تاثير للتاديب والتهذيب
فان الانسان محبولون على طبايع لا سبيل الى تغييرها فمنهم
اخيار بالطبع ومنهم اشرار واستدلوا بقوله تعالى فطرة الله
التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله فنبه ان كل انسان
على حال لا سبيل الى تغييره وقول النبي صلى الله عليه وسلم كل
ميسر لما خلق له ولقوله عليه السلم فرغ ربكم عن الخلق والخلق

والاجل والرزق بقوله عز وجل ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه
في الاخرة لمن الصالحين وقوله تعالى انا اخلصناهم بخالصة
ذكرى الدار وقوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين والناس
وان تفاوتوا في اصل الخلق فما احد الا وله قوة على اكتساب قدر
ما من الفضيلة ولولا ذلك لبطل فايدة الوعظ والانذار
والتاديب

سبب رذيلة الانسان وتاخره عن الفضيلة

سبب تاخر الانسان عن الفضيلة لا يخلو من اوجه اما ان يكون
نقصا في اصل خلقته وعجزا مركبا في جبلته تقاعد به عن
تحصيل القوة وجمع الالة التي بها يتوصل الى السعادة كمن
يضعف بحيرته ولا يفصل عن طلب معاشه الضرورية
وقوته او لا تجد هاديا يرشده ومن كان كذلك فهو معذور
كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها واما انه غير عاجز
عن ذلك لكن لم يساعده على بلوغه عمره وذلك قد وقع اجره
على الله كما قال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله واما ان يتفق
له مسمى ومعلم مضل فيضله عن الطريق وهذا ان لم

يتمكن من الاهتداء بمن يرشده ويسدده يكون معذورا بالاثم
فيما يرتكبه لمن قد اضله لا له كما قال تعالى في المضلين
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون ولن يكن بعد ممن
هديه يكون هو ومضله مشتركين في الاثم كما قال عز وجل
احشروا الذين ظلموا وازواجهم واما ان يكون ضلاله من
جهة نفسه لا من جهة شي مما تقدم وذلك هو المتواعد
بالعذاب فمن ازاح الله عليهم بالفهم والكفاية والعالم الناصح
فرغب عن الاهتداء وترك طريقه الرشاد ويكون كمن وصف
الله تعالى بقوله واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ
منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين وقوله تعالى ولقد
اريناه اياتنا كلها فكذب وابى واكثر منها عقوبة واستفاد
العلم وعرف الحق وسلك من طريق الخير مراحل ثم ارتد عنها
راجعا كمن وصفه الله تعالى بقوله ان الذين ارتدوا على
ادبارهم الاية وبقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه الاية

احوال الانسان ومنازلهم في تعاطي الافعال المحمودة والمذمومة وطرفها

الناس في اقامة العبادات وتجري الخيرات على اربعة اضرب
الاول من له العلم بما يجب ان يعقل وله مع ذلك قوة العزيمة
على العمل به وهم الموصوفون بقوله تعالى في غير موضع ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات والثاني من عدمها جميعا
وهم الموصوفون بقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الصم
البكم الذين لا يعقلون والثالث من له العلم وليس له قوة
العزيمة على فعله فهو في مرتبة الجاهل بل هو شر منه كما روي
ان حكيما سئل متى يكون العلم شرا من الجهل فقال ان لا
يعمل به وروي عن امير المؤمنين قال من كان ضلالته بعد
التصديق بالحق فهو بعيد من المغفرة والرابع من ليس له
علم لكن له قوة العزيمة فهذا متى اعاد لاهل العلم وعمل بقولهم
انجح في فعله وصار من الموصوفين بقوله تعالى اولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا والافعال الجميلة والقبيحة يقوى
الانسان فيها بتكريرها مرارا كثيرة وزمانا طويلا وقتا
بعد وقت في اوقات متقاربة فان من فعل ذلك في شيء اعاده

واذا

واذا اعاد تحلى به فالحذق في الصناعة كالكتابة مثلا يكون
باعتباره فعل من هو حاذق في الكتابة فالافعال التي يحصل
عن الاخلاق بعد حصولها هي باعتبارها الافعال التي يتعاطاها
للتخلق بها حتى يصير خلقا لحق الانسان ان تبدرت بفعل
الخير فان من تعود فعلا صار له ملكة كالصبي فانه قد
يلعب بتعاطي صناعة فيؤدي لعبه به الى ان يتعلمه **فصل**
العبادات تكون محمودة اذا تعاطاها الانسان طوعا واختيارا
لا نفاقا ومجازا واصرارا دائما لا في زمان دون زمان ولاجل ان
ذاته حسنة لا لاجل غيرها فمن اقامها على هذا الوجه فهو الموصوف
بقوله عز وجل اخلصوا دينهم لله وقال عليه السلام اخلص
يكفيك القليل من العمل ولا يرضى الله تعالى الا الاخلاص كما
قال عز وجل الا لله الدين الخالص فان من فعل خيرا
نحو ان يصلي لانه اتفق اجتماعه مع المصلين فساعدهم
كواكره ان يصلي او صلاها في رمضان مثلا دون سائر الآفاق
او لاجل ان ينال منها جاها او مالا فليس ذلك مما يستحق
محمدة وكذا من ترك قبيحا اما انفاقا او اضطرارا او خوفا او في

زمان دون زمان او لا ينال بذلك امرا دنيويا فليس بمحمود
ولهذا قال الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما
انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا
هم يحزنون تنبيها ان من لم ينفق ماله بذلك يعلوه خوف من الفقر
وحزن على الانفاق ولا يحصل له بذلك فضيلة ثم قال يا ايها الذين
آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء
الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان الآية

ارتداد الانسان من طريق الخير والشر

للانسان
فيما يتحراه من الخير والشر حالتان حالة يتمكن فيها من الارتداد على
ادباره فيما يتعاطاه ان خيرا وان شرا فلذلك قبل ان يمعن سيره
ويتناهى في ممره وحالة يتعذر عليه الارتداد على ادباره بل لا
يكون له سبيل الى الرجوع وذلك اذا امعن في سيره وتناهى في
ممره وذلك ان كل من كان متعاطيا لفعل خير فتكاسل عنه
او متعاطيا بشر فلم يقلع عنه اورثه كسله ضيق صدر يتحرى
الخير كما قال عز وجل ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا وانشراح صدره يقفل بالشر كما قال عز وجل افمن

زين له سوء عمله فرآه حسنا فان استمر على ذلك ولم يقلع
اورثه ذلك رينا على قلبه كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون فان تمادى في ذلك واستمر اورثه ذلك غشاوة
كما قال الله تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون فان ازداد اورثه
ذلك طبعا وختما كما قال ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة ولهم عذاب عظيم وقال افرايت من اتخذ الهه هواه
واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون فان ازداد صار
ذلك قفلا كما قال ام على قلوب اقفالها ثم اذا تمادى صار قلبه
ميتا قل ما يرجى له حيوة ثم اذا مات فلا تنفعه الآيات والنذر كما قال
انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ومن
حيث ان الله تعالى علم من احوال من بلغ هذا المبلغ لانه لا يتوب
ولا يؤب وكما قال ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا
لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون وقال تعالى ان الذين آمنوا
ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم
ولم يرد انه ان تاب لم يقبل توبته بل نبه بذلك انهم لا يتوبون فيقبل

توبتهم فذكر منتهى الفعل ودل ذلك على مبدايه وهذا من كلامهم كقول
الشاعر لا ترى الضب بها ينجحر اى ليس لها ضب فينجحر فالنفى
وان تناول انجحار الضب فهو فى الحقيقة لوجود الضب بها وعلى
هذا قوله تعالى ان الذين امنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا
كفرا لم يكن الله ليغفر لهم اى لم يكونوا ليتوبوا فيغفر لهم وعلى هذا
قال تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم
يتوبون من قريب تنبيها ان هولاء الذين يرجى لهم التوبة وعلى
هذه الجملة نبه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اذا اذنب
الرجل نكت على قلبه نكتة سوداء فاذا اذنب ثانيا نكت اخرى
فلا يزال كذلك حتى يصير قلبه كلون الشاة الرمدا وفى خبر
آخر الذنب على الذنب حتى يسود القلب فلا يرجى له الانابة
وكذلك حال الانسان فيما تعاطاه من فعله الخير فان من صبر
فى اقتراف الحسنة اورثه صبره حسنا كما وصفه الله تعالى به
الصابرين فى مواضع من كتابه وكما قال تعالى ومن يقترف
حسنة نزد له فيها حسنا فان استمر فى ذلك بعض الاستمرار
اهتز ونشط وانشرح به صدره كما قال تعالى ومن يرد الله

ان

ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فان
دام على ذلك امتحن وتطهر قلبه كما قال
تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
ويكون كما وصف فى هذه السورة ولكن الله حبب
اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم
الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون
فضلا من الله ونعمة فان تزايد فى فعله انضم اليه
من الله باعث يهزه وداع يبعثه عليه كما قال
تعالى هو الذى انزل السكينة فى قلوب المومنين
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فحق الانسان ان لا
يسامح نفسه فى الاجتهاد وان لا يخل بخير تعوده
ولا يرخص لها فى شر تركبه فتعاطى صغير
الذنب يفضى الى ارتكاب الكبير والاخلال
بقليل الخير يودى الى الاخلال بالكثير شعر
واورق الفجر ياتى قبل ابيضه واول الغيث رش ثم ينسكب
وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله ان الذين ارتدوا

على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان
سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا
ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر فبين ان
هذا ادى بهم الى الارتداد وقال تعالى ان الذين
تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم
الشيطان ببعض ما كسبوا فنبه ان بعض ما كسبوا
ادى بهم الى الانهزام فالمتدرب في فعل
الخير والمتقوى فيه قد يصير بحيث يكون له
من الله واق يحفظه من الافعال القبيحة
ويحثه على الافعال الحسنة وهذا معنى العصمة
وعلى هذا نبه الله في صفة اوليائه بقوله اولئك
كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح
منه ولذلك قال رضي الله عنهم ورضوا عنه
اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون
والمتدرب في فعل الشر والمتقوى فيه قد
يصير بحيث يكون له بما ارتكبه من القبايح باعث

باعث يبعثه على الافعال القبيحة ويحثه على الافعال السيئة
ويسد عليه طرق الافعال الحسنة وعلى ذلك نبه في صفة
اعدائه بقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم
مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا
فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقال تعالى ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن
السبيل ويحسبون انهم مهتدون وقال تعالى انا جعلنا
الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون وقد نسب الله هداية العبد
واضلاله جميعا الى نفسه ومن حيث انه جعل خلقة الانسان وطبعه
بحيث اذا تعاطى فعلا ان خيرا وان شرا واستمر عليه يصير
ذلك طبعا له وملكة ثم لا يرجع عنه ولم ينسب الطبع من الايمان
الى نفسه من حيث انه جعل بعد ان ذكر ما كان من اساءة العبد
نحو قوله تعالى انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون
فخص الذين لا يؤمنون بان جعل الشياطين اولياء لهم وقال تعالى
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد
كتب عليه انه من تولاه فانه يضله قال تعالى ان الذين لا يؤ

بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون **قدر ما في الوسع من اكتساب السعادة** الانسان لما كان على هيئة العالم
واوجد فيه كل ما اوجد في العالم وكان في العالم اشياء لا يتاتى
اصلاحها وتهذيبها وحيوانات قال لا يمكن تاديبها كذا في ذات
الانسان قوى لا يتاتى اصلاحها وتهذيبها وكان له مع ذلك
متثبطات عما امر به وقصور عما كلف ولهذا قال تعالى قتل
الانسان ما اكفره الى قوله تعالى كلا لما يقض ما امره فنبه ان
الانسان لا يكاد يخرج من دنياه وقد قضى وطره وجب لذلك
على الانسان ان يجب هذا في اداما امكنه وتطهير نفسه بقدر
ما تيسر له والرغبة الى الله في تكفير ما قصر فيه ويتحقق انه
اذا فعل ما امكنه فقد اعتذر لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا
الا وسعها فاذا فعل ما امكنه يكون قد ترشح ان يزيل الله تعالى
عنه ما بقي سيئاته كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى
الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم وقال ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما
ولهذا امرنا ان نديم الدعا بقوله لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا

وقال

وقال والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا فامرنا ان نرغب اليه في اتمام ما قصرنا عن اكتسابه
وقوله عز وجل والذي جاء بالصدق وصدق به الى قوله ليكفر
عنهم اسوء الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون
ولهذه الجملة قال بعض الحكماء من ظن انه يصل الى الحق ببذل
المجهود فهو متعن ومن زعم انه يصل اليه بغير بذل المجهود فهو
متمني ولقصور الانسان عن تركيه نفسه بالاتمام قال عليه السلام
ما احد يدخل الجنة بعمله قيل ولا انت يا نبي الله قال ولا انا الا
ان يتغمدني الله برحمته وقال تعالى تنبيها على هذا المعنى ولولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي
من يشاء **بيان قصور الانسان عن تركيه** نفسه على التمام
هو ان الانسان حيوان ناطق متفكر والحيوان هو جوهر متنفس
حساس والمتنفس جوهر متغذ ومتربي ولا قوام له الا بالغذا
كما قال عز وجل وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام فاذا
الانسان ما دام في الدنيا لا ينفك عن مشاركة البهايم والسباع
لكونه حيوانا محتاجا الى ما يحتاج اليه ومن مشاركة النبات

الاشجار

لكونه متنفسا محتاجا الى ما يحتاج اليه من المواد فالانسان
مالم يقتحم العقبه ولم يفك الرقبه لا يعرى من الحاجات البدنيه
ولم يامن من شياطين الانس والجن فكيف يامن وقد قال تعالى
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي
بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا الاية وعن بعض المفسرين
ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما سال الله تعالى وقال ارني
كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن الاية انما ساله ان يريه الحيوة العارية
عن العوارض العارضه للحيوانات فقال اولم تؤمن اى اولم
يتحقق قال بلى اى تحققته ولكن ليطمئن قلبي اى كيفيته
الطمانينه ان تبرى النفس من الشبق والحرص والامل والافتخار
فاعاين الحالة المذكوره في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنه
ارجعي الى ربك فامره الله تعالى ان ياخذ اربعة طيور غرابا وهو المختص
بالشره ونسرا وهو المختص بالامل وطاوسا وهو المختص
بالافتخار وديكا وهو المختص بالشهوة فامره ان يقطعهن ويصرهن
اى يدعوهن فلما فعل ذلك صرن اليه عاجلا فنبه بذلك
ان الانسان وان اجتهد كل الاجتهاد في خذ من هذا المعاني

بالشبق

عن نفسه وتطهير ذاته منها لا يمكن ان يتطهر ما دامت البشرية
الدنيوية حاصله له لن يحصل له الطمانينه المطلوبه واما
ما يدعيه قوم ان من الناس قد تجرد عن هذه الخصايص حتى
يستغني عن الطعام والشراب ويصير بحيث لا يعاوده الاخلاق
البهيميه فهذا ان حصل في بعض الناس فان ذلك حينئذ يكون
ملكا متشبها يسمى بالانسان على سبيل الاشتراك الاسم ويكون
متبدل الجوهر تبدل جوهر النار اذا صار بردا وسلاما وتبدل
الدعموص اذا صار ضفدعا والدود اذا صار فراشا وكثيرا من
النبات اذا صار جوهرا آخر وحيوانا وليس ذلك بمنكر في القدرة
الالهيه ويكون حينئذ خارجا عن الاستصلاح الافعال التي
خلق الانسان لاجلها مستخلفا في الارض ومستعمرا فيها

فصل اعلم ان من هاجر في الله وجاهد في سبيله بحقيق
ان يهديه الى سبيله كما وعده في قوله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقال ان الذين آمنوا والذين
هاجروا وجاهدوا الى قوله اولئك هم المومنون حقا والهجرة
العظمى هجران فضولات الشهوات والمجاهدة الكبرى مدافعة
الهوى

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادك هواك فمن هداه الى
سبيله وامعن في ممره مسارعا في الخيرات وسابقا الى
مغفرته فحقيق ان يصير من الابدال ومعنى الابدال هم الذين
يبدلون من اخلاقهم وافعالهم الذميمة اخلاقا وافعالا حميدة
فيجعل بدل الجهل العلم وبدل الشح الجود وبدل الشهوة العفة
وبدل الظلم العدالة وبدل الطيش النوده وعلى ذلك قوله عز وجل
والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم
الله الا بالحق وقال فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وكان الله غفورا رحيما فالانسان اذا صار من الابدال فقد
ارتقى الى درجة الاحباب الذين عناهم الله تعالى بقوله فسوف
ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فيجعله مهيبا في البشر معظم القدر
عند كل احد بل قد يبلغ مبلغا يخضع له البهائم والوحوش والحشرات
خضوعها لسليمان ويلين له الحديد كما عادت لداود وصار له الماء
اذا خاضها بردا وسلاما كما صارت لابرهيم وتنقاد له الريح
فيركبها كركوب سليمان ويتسخر له الماء فيمشي عليه كمسير الخضر
ويكلمه النبات والمعادن والافلاك والنجوم فيقف على منافعها

وتخبره

وتخبره بسرايرها كما لمتها لادريس عليه السلام فقد روي اذا احب
الله عبدا البسه صورة من صورته ونفخ فيه روحا من ارواحه
حتى ينقاد له كل حجر ومدر ويتواضع له كل طاير وسبع بل قد
تخصه بكرامات لا يمكن ان تطلع على معرفتها غير من خصها
كما قال عليه السلام عن ربه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال
تعالى اشارة الى هذا المعنى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين وهذه الاحوال كما يكون للانبياء فقد يكون للاولياء المخصوصين
بالكرامة وليس ذلك بمستبدع ولا منكر في قدرة الله تعالى
ولا منافي الحكمة ولا كما ظن المتكلمين ان ذلك اذا اظهر الله على
ايدي غير انبيائه لا يؤمن ان يعتقد به الناس فان ذلك يؤدي الى
اشتباه امر المعجزة على الكافة فان الله تعالى احكم الحاكمين فلا
يؤتي هذه المكرمة الا من هو اهله كما نبه عليه بقوله تعالى
الله اعلم حيث يجعل رسالاته ولعلو هذه المنزلة فقد اتاه من
العلم والحكمة ما يمسكه ويستقيم كما امر ويعرف قدره ولا
يتعدى طوره

بعض ظ م

اثبات المعاد وفضيلة الموت وما حصل

له بعد من السعادة لم ينكر المعاد والنشأة الاخرى الا
جماعة من الطبيعيين اهملوا افكارهم وجهلوا اقدارهم وشغلهم
عن التفكر في مبدائهم ومنشائهم شغفهم بما تزين لهم من حب
الشهوات المذكورة في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات
الآية فاما من كان سويا ولم يمش مكبا على وجهه لكونه كالانعام
بل هم اضل فتامل اجزاء العالم علم ان افضلها ذوات الارواح وافضلهم
ذوو الارادة والاختيار في هذا العالم وافضل ذوي الارادة
والاختيار الناظر في العواقب من خاصية الانسان وانه لم يجعل
هذه الخاصية الا لامر جعل له في العقبى والا كان وجود هذه
القوة فيه باطلا فلو لم يكن للانسان عاقبة ينتهي اليها عن هذه
الحيوة الخسيسة المملوة نصبا وهما وحزنا ولا يكون بعدها
حال مغبوطة لكان اخس الحيوانات احسن حالا من الانسان
وايضا يقتضي ان يكون هذه الحكم الالهية والبدع الربانية التي
اظهرها الله في الانسان كان عبثا كما نبه بقوله عز وجل
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فان الاحكام
بنية الانسان مع كثرة بدائعها وخصايصها وعجايبها ثم

نقضها وهدمها من غير معنى سوى ما شاركه فيه البهايم من الاكل
والشرب والسفاد مع ما يشوبه من الكدر الذي قد اعفي عنه
الحيوانات سفه كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا
تعالى عن ذلك علوا كبيرا وما اظهر عند من الفى عن مناكبه
دثار الغمارة صدق قول امير المومنين رضي الله عنه حيث
قال الدنيا دار ممر لا دار مقر فاعبروها ولا تعمروها وقد
وقد خلقتم للابد ولكنكم تنقلون من دار الى دار حتى تستقر
بكم القرار وكثير من الجهال اغتروا بقوم وصفوا بوفور العقل
في امور الدنيا حيث انكروا الامر الآخرة فقالوا لو كان ذلك
حقا لم ينكره امثالهم مع وفور عقلهم وكثرة فهمهم ولو علموا
ان العقل وان كان جوهرا شريفا فانه لا يتوجه الا حيث وجه
ولا عدالة له الا فيما اليه قد صرف فاذا صرف اليه امور الآخرة
احكمها واذا صرف اليه امور الدنيا قبلها واعتكف عليها وبكل
ما سواها فيقصر بصيرته حينئذ عن الامور الاخروية كما
نبه عليه قوله تعالى في غير موضع وقد تقدم القول فيه

فصل اعلم ان الموت المتعارف الذي هو مفارقة الروح

والبدن هو احد الاسباب الموصلة للانسان الى النعيم لابد
وهو انتقال من دار الى دار حتى استقر بكم القرار فهو وان كان
في الظاهر فناء واضمحلال فهو في الحقيقة ولادة ثانية وما
احسن ما قال الشاعر تمخضت المنون له بيوم اني ولكل حامل تمام
وانه جعل للمنون حملا كحمل المراة وتمخضا كتمخضها وولادة
كولادتها تنبيها انه احد اسباب الكون وقال بعضهم ان انسانا
ما دام في دنياه فهو جار مجرى الفرخ في البيضه فكما ان من كمال
الفرخ تعلق البيضه خروجه منها كذا من شرط كمال الانسان
مفارقة هيكله ولولا هذا الموت لم يكمل الانسان فالموت اذا
ضروري في كمال الانسانية ولكون الموت سببا لانتقال
من حال الى حال ارفع سما الله تعالى توفيا وامساكا
فقال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الى قوله فيمسك
التي قضى عليها الموت وقول العرب استاثر الله بفلان ولحق بالله
ونحو ذلك من الالفاظ ولاجل ان الموت الحيواني انتقال من
منزل ادنى الى منزل اعلى احبه من وثق بماله عند الله. ولم
يكره هذا الا احد الرجلين احدهما من لا يؤمن بالاخرة وعنده

وعنده ان لا حيوة ولا نعيم الا في الدنيا كمن
وصفهم الله بقوله ولتجدنهم احرص الناس على حيوة
ومن الذين اشركوا الاية وقال بعض من شعر
هذا طريقته في هذا المعنى خذ من الدنيا بحظ
قبل ان تنقل عنها فهي دار لست تلقى بعدها
اطيب منها الثاني مؤمن يؤمن به ولكنه
يخاف ذنبه فيكره الموت لانه سبب لوصله
الى ما قدمه فاما من لم يكن كذلك فانه يحبه
ويتمناه كما احبه الصالحون وتمنوه وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احب
لقاء الله احب الله لقاءه وقال تعالى فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين تنبيها على ان من كان
متحققا بحسن حاله عند الله لم يكره الموت
والموت هو باب من ابواب الجنة منه يتوصل
اليه ولو لم يكن موت لم يكن الجنه ولذلك
من الله تعالى على الانسان فقال الذي خلق

الموت والحيوة قدم الموت تنبيهًا انه يتوصل به
الى الاخرة والحيوة الحقيقة وعده علينا فى نعمه
فقال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم فجعل الموت انعاما كما
جعل الحيوة انعاما لانه لما كانت الحيوة الاخروية
لا وصول اليها الا بالموت فالموت نعمة لان السبب
الذى به يتوصل الى النعمة نعمة ولكون الموت
ذريعة الى السعادة الكبرى لم يكن الانبياء والحكماء
يخافون الموت حتى قال امير المومنين رضى الله عنه
ما ابالى اقع على الموت ام يقع على الموت وكانوا يتوقعونه
ويرون انهم فى حبس فينتظرون للمبشر بالاطلاق
وعلى هذا روى الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
وقيل انه لما مات داود الطائى سمع هاتف
يقول اطلق داود من السجن وقال تعالى ولئن متم او
قتلتم لالى الله تحشرون تنبيهًا ان الموت سبيل الحيوة
المستفادة عند الله وقال ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله

امواتا بل احياء عند ربهم وعلى ذلك نبه بقوله ثم انشاناه
خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك
لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون فنبه ان هذه التغيرات
لخلق احسن فنقص هذه البنية لاعادتها على وجه اشرف
كالنوى المزروع الذى لا يصير نخلا مستمرا الا بعد افساد
حبها وكذلك البر اذا اردنا ان نجعله زيادة فى اجسادنا
نحتاج الى ان يطحن ويعجن ويطبخ ويوكل فتغير تغييرات كثيرة
من فسادات الظاهرة وكذا البذر اذا القى فى الارض بعد من
لا يتصور حاله فسادا فالنفس لا تحب البقا فى هذه الدار الا
اذا كانت قدرة راضية بالاعراض الدنيوية رضى الجعل
بالحش او يكون جاهلة بحاله فى المآل **تفضيل الانسان
اذا شرف على الملك** قد تقدم ان الناس ضربان ضرب لم
يتخصص من الانسانية الا بالصورة التخطيطية من انتصاب
القامة وعرض الظفر والقوة على الضحك ولعوض النطق
يجرى مجرى المكاء والتصدية وهو دون البهايم وضرب هو
الانسان وهو العشى بما خلق لاجله فمن كان كذلك فله حالتان

احديهما حالته وهو في الدنيا ولما يقتحم العقبه ويفك الرقبه
بل هو بعد صريع جوعه واسير شبعه بهمته العرقه وتوطه
البقه وتقبله الشرقه ولما يقض ما امره فهو ما دام في
دنياه لا يحكم له بانه افضل من الملايكة على الاطلاق
والحالة الثانية ان يكون قد اقتحم العقبة وفك الرقبة
بعد ما قضى ما امره فصار من الذين لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون بل قد حصل في مقعد صدق عند مليك مقتدر
ذا حيوة بلا فناء وغنا بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل
وقد قام الملايكة بخدمته كما قال تعالى والملايكة يدخلون
عليهم فحينئذ من حصل له هذه المنزلة افضل من كثير من
الملايكة ❊ اعاننا الله تعالى بفضله على بلوغ هذه
المنزلة وجعلنا من المترشحين لها
برحمته انه على ما يشاء قدير

تم الكتاب

بحمد الله وحسن توفيقه وصلى الله
على سيدنا ونبينا محمد وآله